

زوايا إسلامية

من وجهة نظر سيكولوجية

تأليف

د. بديع القشاعة

Islamic Issues from a Psychological Perspective

By

Dr. Elkashalla Badeea



Negev Regional Center for Research & Development

מרכז מחקר ופיתוח אזורי בנגב

מركز الأبحاث والتطوير في النقب



ת.ד. 999 חורה 85730 • טל: 086513571 • פקס: 086513581 • mopnegev@gmail.com

زوايا إسلامية من وجهة نظر سيكولوجية

Islamic Issues from a Psychological Perspective

By

Dr. El Kashalla Badeea

badeea1@walla.com

تأليف:

دكتور بديع عبد العزيز القشاعة

الطبعة الأولى 2008

حقوق الطبع محفوظة للناسر

مركز الأبحاث والتطوير في النقب

حورة 85730، ص.ب: 999

هاتف 086513571 فاكس: 086513581

mopnegeve@gmail.com

زوايا إسلامية من وجهة نظر
سيكولوجية

•

مراجعة وتدقيق لغوي
دكتور فخري بصول

•

تصميم الغلاف وصف الكتاب
ماستر جرافيك
إسماعيل القشاعة
esmaeel2001@gmail.com

الإهداء:

- إلى أبي وأمي

- إلى زوجتي وأبنائي

- إلى أهلي في النقب

دعاء

«اللهم اجعل هذا الكتاب في ميزان حسناتي يوم القيامة» آمين

**كما واشكر كل من ساهم في اخراج هذا الكتاب الى
النور ، شكر خاص لكل من الأساتذة الأفاضل :**

د . شاهر المكاوي

د . حسن ابو السعد

د . سليم ابو جابر

د . فخري بصول

الفهرست

الصفحة

الموضوع

١٤ المقدمة
١٦ فكرة الكتاب
٢٠ مقدمة في ماهية السيكلوجية
٢٥ نظريات في السيكلوجية والحديث الشريف
٣٩ الذات في الإسلام من منظور سيكلوجي
٤٦ سيكلوجية الأطفال في الإسلام
٥٩ شخصية المسلم
٨٥ السلوك السوي في الإسلام
٩٦ المنهج الإسلامي في علاج الاكتئاب
	سيكلوجية الإرشاد النفسي وفقاً لنموذج
٩٨ الإرشاد الإسلامي
	المصادر

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسِيرَیَ اللّٰهِ عَمَلِكُمْ وَّرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلٰی
عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .

للإنسان، حاجات كثيرة، منها ما هو أساسي لا غنى عنه لأنه يتوقف عليها حفظ نفسه وبقاء نوعه . ومنها ما هو هام وضروري لتحقيق أمنه النفسي وسعادته . وحاجات الإنسان قد تكون حاجات فيسيولوجية تتعلق بما يحدث في بدنه من اجل الاتزان العضوي . وتسمى هذه بالفيسيولوجية، وهي دوافع فطرية غير مكتسبة، وهي عامة يشترك فيها جميع أفراد الحيوان والإنسان .

ولللإنسان أيضا، حاجات أخرى كثيرة نفسية وروحية، بعضها هام وضروري لتحقيق أمنه وسعادته . فالإنسان يشعر في قرارة نفسه بالحاجة إلى معرفة الله سبحانه وتعالى خالقه وخالق الكون، وإلى توحيده وعبادته، وإلى الالتجاء إليه والاستعانة به، وما يؤدي إليه ذلك من شعوره بالأمن والطمأنينة . كما أنه يشعر بالحاجة إلى الانتماء إلى جماعة، وإلى أن يكون مقبولا ومحبوبا بين أفراد جماعته، وأن يكون موضع تقديرهم واحترامهم، مما يحقق له الحياة الآمنة السعيدة في جماعته، وهو يشعر أيضا بالحاجة إلى الإنجاز والنجاح والتفوق وتحقيق طموحاته في الحياة، مما يكسبه الثقة بالنفس، ويحقق له الشعور بالرضا النفسي والسعادة . وللإنسان حاجات نفسية أخرى

كثيرة تتكون أثناء تنشئته الاجتماعية .

إن مساهمة الدكتور الباحث بديع القشاعلة هي محاولة اجتهاد أو تجديد جريئة وفريده ، حيث انه خرج عن المألوف في أصول علم النفس الغربي وفلسفته على حد تعبيره . وطرح أفكاره في علم النفس من منظار اسلامي . إنه بحث جديد في موضوعه ، مهم لكل مهتم بشؤون أمته ، حريص على تقدمها وازدهارها .

خروج هذا الكتاب تحت رعايه مركز الابحاث والتطوير الاقليمي في النقب في فتره وجيزه من العمل يثير روح الحمس والعطاء لدى بقية الباحثين في بقية المجالات لاعطاء المزيد من المنتج العلمي لما فيه مصلحة الامه .

الدكتور شاهر المكاوي

المدير العلمي

مركز الابحاث والتطوير الاقليمي في النقب



تقديم :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم . أما بعد؛ فقد خلق الباري عز وجل النفس البشرية وألهمها أهواء وميولاً متنوعة، وفي ذلك وردت آيات قرآنية عدة كقوله تعالى: « وَالشَّمْسُ وَضَحَاهَا (١) . . . وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) . «الشمس ١ . ٧-٨» ، وما لا شك فيه أن النفس هي من بين المواضيع التي يكثر ذكرها في القرآن الكريم حيث بين الله عز وجل من خلال هذه الآيات طبيعة هذه النفس وميزاتها والتوجهات المتناقضة التي قد تميل لها النفس البشرية .

لقد وردت الكثير من هذه الصفات في الكثير من الآيات الكريمة كالحسد لقوله تعالى :

« وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (البقرة: ١٠٩) ، أو أن تأمر النفس صاحبها بالسوء كقول الله : « وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ . . » (يوسف: ٥٣) وغيرها من الآيات التي تشير للسلوكيات الإنسانية بدافع أهواء النفس للخير والشر .

لقد اجتهد الكثير من العلماء والمفكرين والفلاسفة منذ القدم في محاولات منهم لتعريف النفس والروح وعلاقتها بالجسد من جهة

وكيف تسيّر هذه النفس السلوك الإنساني من جهة أخرى ، أما في العصور الحديثة فقد استطاعت الأبحاث والدراسات المختلفة للسلوك الإنساني أن تلقي الضوء على كثير مما يتعلق بالنفس وخاصة علم النفس الإكلينيكي - العلاجي .

وكانت اجتهادات للعلماء المسلمين في هذا الباب مثل الإمام الغزالي الذي أستطاع أن يبين المميزات الفطرية (الموروثة) للأطفال مقابل العامل التربوي وأهميته في تربية الأطفال تربية حسنة (كتاب العلم وكتاب إحياء علوم الدين).

وفي هذا الكتاب الذي نحن بصدده يستعرض المؤلف العديد من الظواهر النفسية والسلوكية كيفما توصلت إليها الدراسات العلمية وما آلت إليها من استنتاجات وتوجهات علاجية ، ولكن بتأكيد وتوضيح هذه الجوانب النفسية من المنظور الإسلامي وكيف أن القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة تعطينا وترودنا بمعرفة متميزة في هذا الباب .

تبين فصول هذا الكتاب للقارئ ، وبصورة واضحة وسلسلة هذه القضايا النفسية التي تحيط بكل ما يتعلق بسلوكنا من الطفولة فالبلوغ إلى الرشد مستندا إلى ما ورد فيها من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية شريفة وكيف يفسرها بالمقابل العلم الحديث ، الأمر الذي يسهم بصورة جيدة في فهمنا لسلوكنا وسلوك أبنائنا ومن حولنا . إن هذه المساهمة العلمية الحيرة من الدكتور بديع لتأتي في ظل الافتقار لمثل هذه الأبحاث العلمية في مجتمعنا الذي هو بحاجة ماسة إلى الكثير من المبادرات من هذا القبيل .

جزا الله عنا وعنكم المؤلف الدكتور بديع القشاعلة خيرا لهذا العمل

الجيد، ونسأل الله أن يجعله في ميزان حسناته، ونسأل الله أن يسهم
هذا الكتاب في توسيع معرفة القراء والاستفادة منه في حياتهم.

دكتور حسن أبو سعد

أخصائي في علم النفس المعرفي

باحث في مركز الأبحاث والتطوير في النقب

• • •

تقديم

عزيزي القارئ... أضع بين يديك دراسة أكاديمية جادة وجريئة، حول موضوع هام في منظور التربية الإسلامية وخبراء علم النفس البشري قديماً وحديثاً، ألا وهي «زوايا إسلامية من وجهة نظر سيكولوجية». هذه الدراسة تُعتبر من الدراسات المعاصرة والهامة التي تضاف إلى قائمة الدراسات الإسلامية في المكتبة العربية لتلقي مزيداً من النور والبحث العلمي في هذا الجانب.

لقد استهل الباحث - بارك الله فيه - دراسته هذه، بمقدمة شاملة حول ماهية السيكلوجيا من وجهة نظر علمية مُردفاً إياها بمنظور سيكولوجي مبيّن ذلك وارتباطاته بنواحي الحياة الإسلامية. وبذلك فقد أكد الباحث بما لا يدع مجالاً للشك بأن الدين الإسلامي هو دين الله الكامل الذي يشمل كل مناحي الحياة الإنسانية ويضع لمشاكلها وهمومها الحلول الشافية. إن هذا الارتباط الوثيق والعلاقة الوطيدة تأكدت من خلال دعم الباحث النظرية العلمية بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في كل فصول هذه الدراسة.

ثم انتقل الباحث إلى دراسة «مفهوم العقاب» و «النمو الجنسي» دراسة جديّة من خلال طرحه ومناقشته العلمية لمفهوم التّشاة الإجتماعية في الإسلام، شارحاً سيكولوجية الطّفل وأسس التّعامل معه في كل مرحلة من مراحل نموه. ومن ثمّ عرج على شخصية الإنسان المسلم وما يترتب عليه من سلوك سوي ومستقيم في تعامله مع كافة الناس من وجهة نظر إسلامية تعتمد على منهج إسلامي متين.

واختتم الباحث دراسته هذه، بعرض علمي شيق لسيكولوجية الإرشاد النفسي وفقاً لنموذج الإرشاد الإسلامي المعتمد على المنهج الإسلامي القويم.

وإنني إذ أقدم للقارئ العربي هذا الجهد الجدير بالقراءة والدراسة، لأهنئ المؤلف على هذا البحث العلمي القيم، داعياً له بالتوفيق وبالمزيد من الإنتاج العلمي خدمة لأُمَّته وللإنسانية عامة.

الدكتور سليم أبو جابر
رئيس القسم العربي - كلية أحفا الأكاديمية للتربية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله سيد الخلق والمرسلين وخاتم النبيين ، أما بعد:
 إن الدين الإسلامي دين عظيم جعله الله تعالى هدياً للأمة وطريق نور وصراف مستقيم وعزة للمؤمنين ، لقول أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « كنا أذلة فأعزنا الله بالإسلام » . إن العزة في الإسلام ، ولا عزة لنا بدونه . فيه حياة للمؤمنين يسيره ، وفي الابتعاد عنه حياة البؤس والشقاء .

«...فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى » (طه، ١٢٣-١٢٢).

يشير سيد قطب في تفسيره لهذه الآيات في كتابه (في ظلال القرآن) بقوله :

«...فهو في أمان من الضلال والشقاء بإتباع هدى الله... والشقاء ثمرة الضلال ولو كان صاحبه غارقاً في المتاع. فهذا المتاع ذو شقوة. شقوة في الدنيا وشقوة في الآخرة. وما من متاع حرام، إلا وله غصة تعقبه وعقابيل تتبعه. وما يضل الإنسان عن هدى الله إلا ويتخبط في القلق والحيرة والتكفؤ والاندفاع من طرف الى طرف لا يستقر ولا يتوازن في خطاه. والشقاء قرين التخبط ولو كان في المرتع المرح! ثم الشقوة الكبرى في دار البقاء. ومن اتبع هدى الله فهو في نجوة من الضلال والشقاء في الأرض، وفي ذلك عوض عن الفردوس

المفقود ، حتى يؤوب إليه في اليوم الموعود» .
وقد انزل الله تعالى القرآن الكريم معجزة من أعظم المعجزات ، فيه
أمور الدين والدنيا وتفسير كل ما هو موجود في هذه الدنيا من أمور
اجتماعيه ، سياسيه ، سلوكيه وغيرها .
ولو تعمنا في القرآن الكريم لوجدنا تفسيراً لمعظم جوانب الحياة .
وإضافة إلى القرآن الكريم جاءت السنة النبوية لتكون دستوراً ينظم
الحياة البشرية ، وضعها معلم البشرية محمد عليه الصلاة والسلام ،
فيها الكثير من القوانين ، حيث شرحت أموراً كثيرة دينية كانت
أم دنوية . إن عملية المقارنة بين الدين الإسلامي والسيكولوجيا ،
تساعدنا على فهم الأمور بصورة أوضح .

المؤلف ٢٠٠٨



اختلفت آراء العلماء حول تفسير السلوك، فمنهم من قال: إنه النشاط الحركي الظاهر الذي يمكن أن يشاهده الآخرون، كالمشي والكلام والأكل والركض والابتسام... الخ، ومن العلماء من قال انه يشمل جميع ما يصدر عن الفرد من نشاط ظاهر أو نشاط باطن كالتفكير والتذكر... وهو يتفاعل مع بيئته ويحاول التكيف لها (عزت راجح، ١٩٧٠). إن السلوك هو كل ما يصدر عن الإنسان من استجابات مختلفة إزاء موقف يواجهه أو مشكلة يحلها أو خطر يتهدهده أو قرار يتخذه أو درس يحفظه أو مقالة يكتبها... (عزت راجح، ١٩٧٠). والكثير من علماء السلوك المعاصرين تطرقوا في أبحاثهم ودراساتهم الى تفسير العديد من الظواهر السلوكية، بحيث نجد تطابقا بين نتائج هذه الأبحاث وبين ما تنص عليه تعاليم الدين الإسلامي. وهذا الأمر يعطينا قوة في إيماننا بالله والرسول. سنورد بعون الله شرحا من الناحية السيكلوجية العلمية للظاهرة ثم نأتي بالنص الديني.

إن الفكرة الأساسية في هذا الكتاب تبلور في مقارنة ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية من شرح لظواهر سلوكيه، مع ما جاءت به نظريات علم السيكلوجية الحديثة.

دائما نلمح ونجد ان ما يحث عليه الدين الإسلامي من سلوك تحث عليه العلوم والدراسات. والشخصية الإسلامية هي شخصيه إيجابيه

سويه بعيدة عن الانحرافات، وذلك بتمسكها بشعائر الإسلام وقوانينه ومطالبه، فلا يمنع الدين سلوكا إلا وكان وراءه عاقبة وخيمة، وما حث على سلوك إلا وكانت نتائجه إيجابية. ومن يتبع تعاليم الإسلام يتجنب الاضطرابات والانحرافات ويشرح الله تعالى له صدره للخير وينزل عليه الطمأنينة.

«رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» (البقرة، الآية ٢٨٦).

يقول تعالى في كتابه العزيز:

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) » (المؤمنون، آيات ١٢-١٤).

وقال تعالى:

« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شِيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَى مِنْ قَبْلِ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » (غافر آيه ٦٧).

ويقول الله عز وجل:

« اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ » (الروم آيه ٥٤).

في هذه الآيات الكريمة يصف جل جلاله عملية خلق الإنسان وعملية

نوه، وأصله الذي هو من تراب . وجعل الله تعالى عملية الخلق متسلسلة فكان نطفة ثم علقه ثم نما فأصبح طفلا يفكر ويشعر ويتأثر ويتعلم وينمو حتى يصبح رجلا قويا بعد أن كان طفلا ضعيفا متكلا معتمدا، ثم أصبح شيخا كهلا ضعيفا متكلا كما كان أول أمره .

يقول سيد قطب في كتابه «في ظلال القرآن» بصدده هذه الآيات: « . . انه ضعف البنية الجسدية الممثل في تلك الخلية الصغيرة الدقيقة التي ينشأ منها الجنين . ثم في الجنين وأطواره وهو فيها كلها واهن ضعيف . ثم في الطفل والصبي حتى يصل الى سن الفتوة وضلعة التكوين . . . فالشيخوخة انحدار الى الطفولة بكل ظواهرها . وقد يصاحبها انحدار نفسي ناشئ من ضعف الإرادة حتى ليهفو الشيخ أحيانا كما يهفو الطفل ، ولا يجد من إرادته عاصما . . . هذه الأطوار التي لا يفلت منها أحد من أبناء الفناء، والتي لا تتخلف مرة فيمن يمد له العمر ، ولا تبطئ مرة فلا تجيء في موعدها المضروب . إن هذه الأطوار التي تتعاور تلك الخليقة البشرية لتشهد بأنها في قبضة مدبرة ، تخلق ما تشاء ، وتقدر ما تشاء ، وترسم لكل مخلوق اجله وأحواله وأطواره ، وفق علم وثيق وتقدير دقيق» لقوله تعالى: «يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ» «الروم اية ٥٤» .

إن عمليات النمو ومسارات التطور العجيبة التي وصفها الله تعالى في الكتاب المبارك درست ومحصت من قبل العلماء على مختلف مجالاتهم ويحتمل بحثا دقيقا ، من الجانب البيولوجي والتشريحي والفسولوجي والسيكولوجي . وهذه الجوانب مترابطة ومتكاملة . إن العلم الذي يبحث في النمو النفسي والتطورات السلوكية لدى الإنسان منذ مولده حتى مماته هو ما يطلق عليه اسم علم النفس النمو

(Developmental Psychology) وهو العلم الذي يدرس سلوك الكائن الحي وما وراءه من عمليات عقلية ، دوافعه وديناميكيته وأثاره ، دراسة علمية على أساسها يمكن فهم وضبط السلوك والتنبؤ به والتخطيط له (الأشول ١٩٨٢).

إن هذا العلم يبحث في العمليات والنشاطات النفسية لدى الطفل منذ ولادته حتى يصبح رجلاً ثم كهلاً ثم الموت ، فالعمليات النفسية كالتفكير ، الاستيعاب ، الإحساس والتذكر تنمو وتتطور مع تقدم العمر .

فطفل في جيل الشهر يختلف عن الطفل في جيل الستة أشهر وطفل السنة يختلف عنه في السنتين وطفل الخمسة يختلف عن طفل السابعة وهكذا . وقد قسم علماء النفس مراحل حياة الإنسان إلى عدة مراحل ، يمكن ذكرها باختصار :

- المرحلة الأولى : مرحلة المهد ، وهي أول سنتين من حياة الطفل .
 - المرحلة الثانية : مرحلة الطفولة ، وهي من سنتين حتى اثني عشرة سنه .
 - المرحلة الثالثة : مرحلة المراهقة ، وهي من اثني عشرة سنه إلى ثماني عشرة سنه .
 - المرحلة الرابعة : مرحلة الرشد .
 - المرحلة الخامسة : مرحلة الشيخوخة .
- وهناك الكثير من العلماء الذين استطاعوا أن يفتدوا المراحل إلى مراحل مفسره أكثر وبشكل موسع (زهرا ن ١٩٧١) .

• • •

مقدمة في ماهية السيكولوجية

ما هي السيكولوجية؟ (Psychology)

لقد اجتمع العلماء على أن تعريف السيكولوجية بشكل عام هو العلم الذي يبحث في دراسة السلوك الإنساني بطريقة علمية بهدف فهمه، وتفسيره، والتنبؤ به، وضبطه، والتحكم به، كي يتم تعديله وتغييره، وتهذيبه (عبد الرحمن عدس، نايفة قطامي ٢٠٠٢).

باختصار السيكولوجية هي عبارة عن الدراسات العلمية للسلوك والعقل والتفكير والشخصية، ويمكن تعريفها بأنها: «الدراسة العلمية لسلوك الكائنات الحية، وخصوصا الإنسان، وذلك بهدف التوصل إلى فهم هذا السلوك وتفسيره والتنبؤ به والتحكم فيه»

تعتبر السيكولوجية من العلوم الحديثة التي تم إنشاؤها وإدخالها لأول مرة في المختبرات في سنة ١٨٧٩م على يد السيكولوجي الألماني وليم فونت، وقد استخدم فونت (*Vont*) طريقة الاستبطان أو التأمل الذاتي لحل المشكلات وكشف الخبرات الشعورية، وأطلق فونت على هذا العلم اسم علم دراسة الخبرة الشعورية وبذلك يعتبر فونت هو المؤسس الحقيقي للسيكولوجية، وهو الذي قام باستقلالية هذا العلم عن الفلسفة.

(<http://ar.wikipedia.org>)

أهداف السيكولوجية:

الهدف الأول: هو فهم السلوك الإنساني وذلك بمحاولة الإجابة عن

السؤالين « كيف؟ ولماذا؟ » .
الهدف الثاني : هو التنبؤ بالسلوك الإنساني ، وذلك بالمحاولة للإجابة
عن الأسئلة التالية « متى؟ وماذا؟ » .
الهدف الثالث : هو ضبط السلوك الإنساني ، هذا يعني محاولة
التحكم في المثيرات و الاستجابات .
(عبد الرحمن عدس ، محي الدين توك ١٩٩٧)

ميادين السيكولوجية :

- السيكولوجية التجريبية
- السيكولوجية الفسيولوجية
- السيكولوجية التطورية
- السيكولوجية الاجتماعية
- السيكولوجية الإكلينيكية
- السيكولوجية التربوية
- السيكولوجية الصناعية
- السيكولوجية القياسية

الصحة النفسية في السيكولوجية

إن الصحة النفسية هي موضوع أساسي يدور حوله اهتمام
السيكولوجية . لا شك في أن الصحة النفسية تشكل جانباً هاماً في
بناء الشخصية الإنسانية .

الصحة النفسية بمفهومها العام هي الحياة النفسية السليمة . هناك
عدة مفاهيم للصحة النفسية ويمكن تعريف الصحة النفسية السليمة
بأنها قدرة الإنسان على الشعور بالسعادة وإيمانه بقيمه المختلفة في

الحياة وتكوين علاقات صادقة مع الآخرين وكذلك قدرته على العودة إلى حالته الطبيعية بعد التعرض لأي صدمة أو ضغط نفسي . إن الصحة النفسية جزء مكمل للصحة العامة وعالمنا الحالي مليء بالضغوط النفسية والاجتماعية والانفعالات المستمرة والتي تؤثر على صحة الإنسان سواء الجسدية أو النفسية ، كما أن الحياة اليومية وما فيها من تسارع للأحداث يعتبر من العوامل التي تساعد على إحداث تغيرات كبرى في سلوك الفرد . ويعرف برنارد (١٩٦١) الصحة النفسية انها تكيف مستمر مع ظروف الحياة .

الأمراض النفسية

تسجل الأمراض النفسية والعقلية انتشارا واسعا في كافة المجتمعات . فقد يصاب البعض منا ببعض الاضطرابات العاطفية في أوقات مختلفة وقد يشعر البعض الآخر بالحزن لأسباب متعددة بينما يحس البعض الثالث بالقلق والتوتر في أوقات أخرى وقد يصبح البعض عصائيا أو يغضب لموقف ما أو يتصرف بطريقة غريبة تحت ظروف معينة . إن أغلب الأمراض النفسية والعقلية يمكننا الوقاية منها أو السيطرة عليها بشكل أفضل إذا تم التعرف عليها مبكراً وبالتالي لا يجب التأخر في طلب المساعدة والاستشارة النفسية من المختصين حتى لو ظهرت المشكلة فجأة . (كفافي ١٩٩٠).

من هو الـسيكولوجي (Psychologist) ؟

يهتم الـسيكولوجي بجوانب الحياة الإنسانية ويقوم بدراسة السلوك الإنساني في مختلف المجالات . وهو يعمل في مجال الصحة النفسية في مختلف الميادين . ومن القضايا التي يدرسها الـسيكولوجي :

- القدرة العقلية
- المشاكل السلوكية
- الأمراض النفسية
- مشاكل التعلم
- التأخر في النمو
- مشاكل اللغة
- الشخصية

ومن ثمّ فإنّ أهداف السيكولوجي هي تقييم السلوك ثم محاولة تعديله وتغييره نحو الأفضل . فالسيكولوجي دائماً يطمح الى الوصول بالناس الى حياة نفسية أفضل .

• • •

منظور سيڪولوجي لجوانب اسلامية

نظريات في السيكولوجيا والحديث الشريف

كما ذكرنا فالسيكولوجية تبحث في كثير من الظواهر السلوكية لدى الإنسان وتقوم بتمحيصها وتحليل أسبابها وبواعثها وتحاول وضع خطط علاجية لحلها.

من العلماء الذين بحثوا في هذا المجال السيكولوجي الشهير (جان بياجيه) والذي بحث في سلوك الطفل ومراحل تطوره وتعلمه وفهمه وإدراكه للمحيط. هذا العالم يعد من الباحثين الكبار الذين بحثوا تطور السلوك لدى الأطفال، في الأساس تخصص في علم البيولوجي، الأمر الذي صبغ تفكيره ونظرته الى النمو النفسي والمعرفي بالصبغة البيولوجية، وقد ربط بين مراحل النمو وبين النضج البيولوجي للطفل.

قام بياجيه بالكثير من التجارب الميدانية (الامبيرية) والتي استطاع من خلالها أن يبرهن على أن الطفل يمر بمراحل فهم وإدراك متفاوتة تنمو وتتطور مع تقدم عمره ونضجه البيولوجي.

لقد تطرقت أبحاث بياجيه بصورة عامة الى البحث عن كيفية تعلم الأطفال للأشياء المحيطة بهم وطرق فهمها. فقد استطاع أن يربط بين إدراك الطفل وتعلمه للمحيط وبين عمره الزمني، ذلك يعني أن الطفل لا يستطيع -على سبيل المثال- أن يتعلم الكلام قبل أن يصل إلى عامه الأول و إذا كانت هناك محاولات فإنها لا بد أن تبوء بالفشل. (Piaget 1950).

كما ويعتقد بياجيه أن الطفل يتعلم عن العالم المحيط به عن طريق

ما يسمى بالإدراك التدريجي التابع للفكر .

ولقد توصل بياجيه بعد أن قضى وقتا طويلا من حياته يبحث في جوانب الطفل السلوكية إلى ما أشار إليه محمد صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرنا ، حينما ربط لنا إدراك الطفل وفهمه لمحيطه بالعمر الزمني . فالطفل لا يستطيع أن يكتسب الشيء ويتعلمه إلا حينما يصل نموه ونضجه إلى الزمن المطابق لتعلم هذا الشيء . تعالوا بنا نسمع حديث محمد صلى الله عليه وسلم حول هذه النقطة :

عن عمر بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا ، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا وفرقوا بينهم في المضاجع » . رواه احمد وأبو داود والحاكم ، وقيل : صحيح على شرط مسلم . يقول الله تعالى :

« مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) » (النجم ، ٢-٤) .

ينظر سيد قطب الى هذه الآيات ويقول : « . . فصاحبكم راشد غير ضال . مهتد غير غاو . مخلص غير مغرض . مبلغ بالحق عن الحق غير واهم ولا مفتر ولا مبتدع . ولا ناطق عن الهوى فيما يبلغكم من الرسالة . إن هو إلا وحي يوحى . وهو يبلغكم ما يوحى إليه صادقا أمينا » .

إن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حديث مهم ويشمل ما يجب التمعن فيه والتفكر فيه مليا ، لا بل هو نظرية شاملة في حد ذاته ، إذ يحدد الرسول عليه الصلاة والسلام فترات زمنية للتعامل مع الطفل ويربط لنا العمر الزمني الذي هو بعينه النمو البيولوجي مع

النمو المعرفي ، فقولته : « مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا » تحديد للزمن وللوقت المناسب الذي يستطيع فيه الطفل تلقي الأوامر وفهم الأمور وإدراكها .

حتى نتمكن من فهم هذا الحديث بشكل واضح وأفضل ، علينا أن نفهم أولا مراحل النمو النفسي والسلوكي لدى الأطفال في الطفولة المبكرة ، أي في مرحلة الرضاعة والمهد حتى جيل سبع سنوات ، وهي دون شك مرحلة هامة من مراحل النمو البشري .

إن مرحلة الرضاعة تتميز بما يسمه «التقليد» فهو يقوم بتقليد حركات وأفعال الكبار مما يؤدي إلى بداية تعلمه ، ومن وجهة نظر علماء النفس فإن التقليد يعتبر مستوى جديدا من مستويات النشاط العقلي والمعرفي . بحيث في بداية السنة الثانية يبدأ الطفل باكتشاف المحيط والتعرف عليه عن قرب ، كما وينمو عنده ما يسمى «الابتكار» فيبتكر أشياء جديدة غير مألوفة ، وليس فقط مجرد التكرار عن طريق الصدفة كما كان في المراحل الأسبق وإنما يبدأ بنفسه اكتشاف الموضوعات المحيطة به . (الأشول ١٩٨٢) .

وبذلك يرى الطفل نفسه كمؤثر ، وهو يتمسك بمفاهيم معينة للسبب والنتيجة . وكل هذا يتبين لنا حينما نرى طفلنا قد زادت حركته وزادت ضجته ولعبه أو كما نقول نحن « تخريبه للبيت » إن هذا يدل على مدى نمو الطفل من الناحية العقلية والمعرفية .

وفي منتصف السنة الثانية يبدأ الأطفال بما يطلق عليه بياجيه ببدايات التفكير ، إذ أنهم يجربون أفعالا معينة «في رؤوسهم» قبل أن يجرونها في الواقع . وهذا ما يسمى بالاختبارات العقلية ، هنا علينا أن نشير إلى أن شكل التفكير لدى الأطفال في العامين الأولين

عادة ما يكون محدودا للغاية حيث انه يتعامل فقط حسب مبدأ هنا والآن . فانه يعيش في عالمه الخاص به ولا يستطيع أن يتعرف على عالمنا الفكري والعقلي ، ولا يفهم سوى ما يريده هو ، وهذا ما أطلق عليه بياجيه بالتفكير المتمركز حول الذات أو التمرکز الذاتي (Egocentrism).

إشارة محمد صلى الله عليه وسلم الى التمرکز حول الذات لدى الاطفال :

بعد أن تمكن السيكولوجي جان بياجيه من اكتشاف بان الطفل لا يستطيع أن ينظر من منظورنا إلى الحياة (Egocentrism) نجد أن هذه النظرية توصل إليها محمد صلى الله عليه وسلم قبل أكثر من أربعة عشر قرنا ونيف ، وقد أشار الى التمرکز حول الذات (Egocentrism) في حديثه الشريف :

روى احمد وابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال :

« من قال لصبي هاك ، ثم لم يعطه فهي كذب ».

في هذا الحديث الشريف يحدد لنا محمد صلى الله عليه وسلم القائل والمتلقي والنتيجة . فالقائل هو جمع الكبار ، لان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يتحدث مع الصحابة رضوان الله عليهم . والمتلقي هو الصبي ، أما النتيجة فهي الكذب أي إذا قال الكبير للصغير هاك ولم يعطه فقد كذب ، وان قصد المزاح .

من هنا نجد أن الرسول الكريم أراد أن يوضح للناس أن عالم الطفل هو عالم آخر ، غير عالمنا ، وان الطفل لا يستطيع النظر بمنظورنا للأمور نحن الكبار ، ويقصد عليه الصلاة والسلام أن تفكير الطفل متمركزا

حول ذاته، وانه لا يفهم مقاصد الأمور بل ما نقول ونفعل، وهذا ما يقوله علم السيكولوجية الحديث. إن الأطفال الصغار يتعلمون على أفضل نحو من الأنشطة العيانية، وحين نحاول أن ننقل المعرفة عن طريق اللفظ فإن النتيجة كثيرا ما تكون فهما سطحيا، لكونهم لم يتوصلوا بعد الى مرحلة الخروج من التفكير المتمركز حول الذات. استطاع بياجيه الربط بين النمو المعرفي لدى الطفل وبين النمو الزمني. فهو يستمر في شرحه لنظريته إلى أن يصل إلى المرحلة الثانية بعد المرحلة التي يطلق عليها اسم «الحس-حركية». والتي تبدأ في نهاية السنة الثانية ويطلق عليها اسم المرحلة العقلية قبل الإجرائية. ففي بداية هذه المرحلة نجد أن الأطفال يبدؤون باستخدام اللغة وتمييزها كما ينمون استخدام الإشارات والرموز. ومن المعروف أن اللغة هي دليل على النمو العقلي لدى الأطفال، فبواسطتها يحل مشاكل أكثر تعقيدا وتركيبا. (Piaget 1950)

وفي هذه المرحلة يبدأ عندهم مبدأ ثبات الأشياء وبقائها دون أن يروها إمامهم.

في هذه المرحلة بحث بياجيه العمليات العقلية لدى الأطفال، فوضع بعض المهام العقلية وعرضها عليهم، ورأى كيف يمكنهم التوصل إلى الحل.

نقدم مثلا على ذلك كما جاء في أبحاث بياجيه :
عرض على طفل كأسين كبيرتين واسعتين من الماء، مملوءتين بارتفاع متساو، وكأس ثالثة طويلة وفارغة.
وبعد أن عرضها على الطفل، سأله: كيف يرى الماء في الكأسين الأولين، فقال الطفل: إن الماء متساو، ولكنه بعد أن سكب إحدى

الكأسين في الكأس الطويلة الفارغة على مرأى من الطفل ، ثم سأله :
أين توجد كمية الماء أكثر؟ فأشار الطفل إلى الكأس الطويلة .
هنا يشير بياجيه إلى أن الطفل فقد الحكم بالثبات والبقاء من
الناحية الكمية ، أما الطفل الذي يفهم أن اختلاف الحجم قد لا
يؤثر على الكمية فقد وصل إلى درجة من التفكير الذي يتغلب فيه
على الإدراك . إن إدراك الطفل في هذه المرحلة للأشياء يميل إلى
أن يكون مقيدا بالسلمات السائدة أو الخصائص الغالبة على شكل
المثير ، ومع ازدياد العمر للوليد البشري ونضج القدرات الإدراكية
نرى أن إدراكه يتحرر من اعتماده المبكر على الخصائص المهيمنة
والسائدة ، بالتالي نجده يستطيع التعامل مع الشكل وينظمه بصورة
كلية عامة ، وهذا تفسير يمكن أن يلاحظ في الطريقة التي يؤدي بها
الطفل عدد من المهام الإدراكية المختلفة . وعلى العموم فإن معظم
الأطفال الذين هم ما قبل السادسة أو السابعة لا يفتنون إلى مبدأ
الثبات وبقاء الأشياء . من هذا المنطلق يقول بياجيه : إن الطفل الذي
ما قبل المدرسة تنقصه الإمكانية والقدرة على التفكير بشكل منطقي .
(Piaget 1950).

ومن الجدير بذكره أن تجارب بياجيه واختباراته جربت في كثير
من دول العالم ، وكانت النتيجة مطابقة بشكل مذهل . ومن
الاستنتاجات التي استنتجها جان بياجيه ، هي التفكير المتمركز حول
الذات ، فالطفل الذي لم يصل إلى السابعة من عمره تسيطر عليه
صفة التمرکز حول الذات في التفكير والكلام والسلوك . فقد لاحظ
أن الأطفال عادة ما يتكلمون مع أنفسهم أكثر مما يفعلونه مع بعضهم
البعض . وكلامهم عادة ما يكون مرتبطا بالفعل ولا يكون بمثابة

مجهودا يبذله الطفل لهدف الاتصال .
نأتي بمثال على هذا، قصة لطفلين في الثالثة من عمرهما يلعبان سويا
وقد دار بينهما هذا الحديث :

– أحمد: اشترت لي أمي هذا الحذاء الجديد .

– علي: هذه اللعبة الخربة! لماذا لا تعمل؟؟

لقد أطلق بياجيه على هذا النوع من الحديث بالكلام المتمركز حول
الذات، وذلك نتيجة التفكير المتمركز حول الذات أيضا الذي
تتصف به هذه المرحلة الزمنية .

يمكن القول إن الأطفال حينما يتواجدون مع بعضهم البعض فان كل
طفل تكون نسبة عالية من كلامه موجه لنفسه . لذلك نجد أن الطفل
حينما يتكلم يستخدم الصيغ التالية: أنا أعمل ، أنا أرسم ، أنا أكل ،
أنا ألعب . . .

ويشير بياجيه إلى أن الطفل الصغير لا يمكنه أخذ وجهة نظر الشخص
الأخر عندما يختلف معه، إن تفكير الطفل الصغير له نظامه الخاص
به، فنحن لا نستطيع فهم الطفل بشكل كلي وذلك لعدم قدرتنا
على الارتداد إلى نماذج فكرية ذاتية . وهي تلك النماذج التي تميز
تفكير الصغار .

لذلك قد يساء فهمنا لسلوك الصغار وذلك لاختلاف نظرة الأطفال
للعالم المحيط مما هي لدى الراشدين . قد يتأثر الطفل الصغير ويصدم
حينما لا يستطيع أن يشارك دميته في ردود فعلها . وذلك لاعتقاده
أن دميته جزء من نفسه . ومن المميزات التي تميز تفكير الطفل في
هذه المرحلة ، هي صفة الإحيائية أو الأرواحية وهي نسب الحياة
لأشياء الغير حية . أو يعتقد بان لكل شيء في الطبيعة روحا أو نفسا ،

كان يظن أن دميته تشعر بالألم والبرد كما يشعر هو بذلك . أي أن الأشياء تشعر وتجد ما يشعر به هو ، فقد نسمع حديث طفلين :

– احمد: لماذا أنت ممسك بساقلك ؟

– علي : لأنه عندي ألم في إصبعي !

– احمد : هل تؤلمك كثيرا ؟

– علي : نعم أنها تؤلمني ، ألا تشعر بها !؟

ونتيجة لذلك فإن الأطفال الصغار ليس لديهم مبدأ الثبات الكمي و العددي فهم يعتقدون أن الحياة والموت شيء واحد ، فطفل الثالثة والرابعة لا يفهم الموت ولا يعني له هذا أن الحياة تنتهي ، وذلك يعود إلى أن الطفل يظن الحياة هي صفة ثابتة ودائمة للأشياء مثل صلابتها أو ألوانها .

ونورد هنا حديث يدور بين احد الأخصائيين وطفل في الثالثة والنصف من عمره:

الطفل: لماذا تدفن الأموات تحت الأرض ؟

الأخصائي: أين تعتقد بأنهم يجب أن يدفنوا ؟

الطفل : من الممكن وضعهم في النفاية!

الأخصائي: لماذا يمكن وضعهم في النفاية ؟

الطفل: من الأسهل عليهم أن يخرجوا .

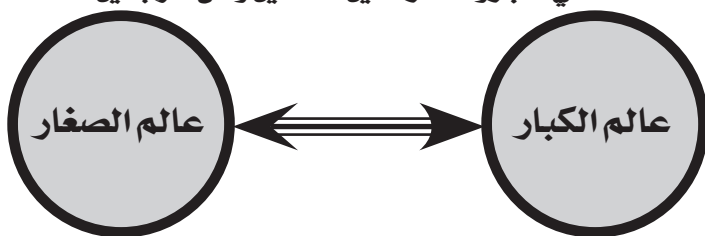
وعندما يقترب الطفل من سن السادسة أو السابعة ، يبدأ في تكوين مفهوم أن الموت هو نهاية الحياة بالمعنى المادي أو الفسيولوجي . ما نريد أن نتوصل إليه هو أن جميع العمليات الفكرية والعقلية لدى الأطفال تنمو مع نموه الزمني ، أي أننا لا نستطيع أن نعلم طفلا شيئا ما وهو لم يصل بعد إلى النضج الذي يسمح له بتعلم هذا

الشيء. لذا يقول محمد صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف: «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبعا».

وهنا لم يشر محمد صلى الله عليه وسلم إلى المرحلة الزمنية عثا، بل كان متيقنا اشد اليقين بان للنضج العمري والبيولوجي أهمية كبرى في فهم الأمور وتعلمها.

من هنا نرى تطابقا عجيبا بين أبحاث السيكلوجية الحديثة في هذا المجال وبين « النظرية المحمدية » فالأبحاث والتجارب التي وصلت إلى نتيجة ميدانية (امبيرية) كون الطفل يمر بمراحل زمنية مختلفة ينمي فيها العقل والمعرفة والاستعداد للتعلم، وان الطفل يخرج من صيغة التفكير المتمركز حول الذات (Egocentrism) في سن السابعة، والتي فيها يمكنه تقبل وجهة نظر الغير، استطاع محمد صلى الله عليه وسلم أن يشير إليها قبل أربعة عشر قرنا ونيف، إذ حدد العمر الزمني بالدقة المتناهية في خروج الطفل من مركزه في تفكيره (Egocentrism) إلى فهم قصد الآخرين، لذا يمكنه فهم ما تعني الصلاة، ويمكنه استيعابها. وصدق عز وجل حينما قال: « إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ». (النجم، ٤).

عالمي الكبار والصغار عالمين مختلفين ولكن مترابطين



مفهوم العقاب في «النظرية المحمدية»

ويكمل محمد عليه الصلاة والسلام: « اضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا... »
ويعود أيضا ليحدد الفترة الزمنية التي يمكن فيها الطفل تلقي العقاب وفهم معناه.

يقصد هنا بالضرب والعقاب» الذي يهدف إلى الردع وتقويم السلوك، وذلك ما يطلق عليه كبار علماء النفس باسم «العقاب» ضمن نظرية واسعة في السيكلوجية يطلق عليها نظرية « الثواب والعقاب». لفهم هذه المرحلة علينا التعرف على المرحلة الزمنية ما بين ٩-١٢ سنة والتي يطلق عليها مرحلة: « الطفولة المتأخرة» أو يطلق عليها أيضا اسم مرحلة « قبيل المراهقة».

في هذه المرحلة يصبح سلوك الطفل أكثر جدية، ويميز هذه المرحلة تعلم المهارات اللازمة لشؤون الحياة، وتعلم المعايير الخلقية والقيم والاستعداد لتحمل المسؤولية وضبط الانفعالات، وهذا يكون إعدادا لمرحلة المراهقة. ويعتبر علماء النفس أن هذه المرحلة هي من انسب المراحل لعملية التطبيع الاجتماعي، كما ويلاحظ أيضا نمو الضمير والرقابة الذاتية على السلوك. وفي هذه المرحلة يستمر التفكير المجرد في النمو ويستطيع أن يقوم بالتفسيرات بدرجة أفضل من قبل، كما ويستطيع أن يلاحظ الفروق الفردية. كما ويزداد مدى الانتباه وترداد القدرة على التركيز وتتطور الذاكرة ويصبح بمقدوره التذكر عن طريق الفهم. ويثبت الخبراء أن الطفل بحاجة إلى تقبل السلطة لأنه يحتاج إليها، فسلوكه وتصرفاته ما زالت غير ناضجة وخبراته فجأة، ولا بد لنا أن نراعي حزمنا مع أطفالنا وان

تكون معاملتنا حنونة وهي حازمة . كما علينا أن نراعي أيضا نقطة هامة جدا ، والتي شدد عليها الخبراء في الصحة النفسية ، ألا وهي عدم استخدام العقاب بمفرده كوسيلة للتعليم وإنما يجب أن يكون هناك أيضا الثواب ، وكما نفهم هذا بصورة أوضح علينا أن نتطرق لقانون الثواب والعقاب في علم السلوك . لقد اهتم جمع كبير من علماء النفس بقضية الثواب والعقاب وكانت هناك عدة بحوث تجريبية في هذا الموضوع وكانت النتيجة كالآتي :

إن الثواب أقوى وأبقى أثرا من العقاب في عملية التعلم وان المدح اقوي أثرا من الذم بوجه عام . وذلك يعني انه إذا ارتكب طفل ذنبا ما ، وعاقبناه (ليس جسديا) يجب علينا أن نثيبه عندما يقوم بجهد أو عمل طيب . أي أن العملية تداولية وليست تقتصر على العقاب أو الثواب . وقد توصل العالم النفسي الشهير ثورندايك وغيره إلى أن اثر الجزاء - ثوابا كان أم عقاب - يبلغ أقصاه حين يعقب السلوك مباشرة ، ولكن أثره يضعف كلما طالت الفترة بينه وبين السلوك . ولكي يكون الجزاء مثمرا وذو نتيجة يجب أن يكون عاجلا ومباشرا ، أي حينما يقوم الطفل بعمل جيد نثيبه مباشرة لفظيا كان أم عمليا ، وان أذنب علينا أن نعاقبه مباشرة حتى يكون الجزاء مثمرا . إن العقاب المعتدل المعقول مدعاة في كثير من الأحيان إلى أخذ الحيلة والحذر وتجنب الأخطاء . أما العقاب الجسدي القاسي والذي يجرح كبرياء الطفل أو الذي يأخذ شكل التوبيخ العلني فهو ذو نتائج سلبية ودون فائدة ، بل ويزيد من الأضرار النفسية كالكراهية ، والشعور بالقص وفقدان الثقة بالنفس والحجل . كما وان العقاب الشديد يعيق العملية التعليمية بدل من المساعدة عليها . (الأشول ١٩٨٢) .

لذلك حينما قال محمد عليه الصلاة والسلام : « واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا » ، كان يقصد الضرب الخفيف أي العقاب المعتدل الذي لا يصل الى الشدة التي تؤثر سلباً على سلوكه بل تهدف الى تعديله ، كما وان استخدام الضرب الخفيف كعقاب في فترات متباعدة يعطي نتيجة كبيرة في تعديل السلوك المراد تعديله . . . لذا من المفضل استخدامه في فترات متباعدة و فقط حين نرى انه لا بد منه مع الحذر الشديد ، وقد أمر رسول الله بذلك فقط حينما يصل الطفل إلى سن العاشرة وليس قبل ذلك ، أي لا يجوز لك ضرب طفلك قبل بلوغه العاشرة ، وذلك لان جميع العمليات العقلية والمعرفية تكون قد تطورت أكثر وان المبنى الجسدي أصبح أكثر تحملاً . وبما أن هذه المرحلة العمرية والتي تسمى « قبيل المراهقة » هي مرحلة مهمة ، إذ أن الفترة التي تأتي بعدها هي المراهقة ، والمراهقة فترة حرجة في حياة الإنسان إذ يقول السيكولوجي الشهير اريكسون ، إن التغيير الجوهرى في مرحلة المراهقة هو الإحساس بالهوية فان تكتلت عليه المشاكل يحدث عنده ما يسمى بتشتت الدور ، أي لا يعرف ماذا يريد و إلى أين يسعى . لكن إذا تمكن المراهق من التوفيق بين الأدوار المختلفة والمتنوعة ، والقدرات والقيم ، وكان بإمكانه إدراك استمراريتها في الماضي والمستقبل فان إحساس الهوية لن يفسح المجال لظهور تشتت الدور . لذا فان محاولة أعداد الطفل وتعليمه بشيء من السلطة يعطي الطفل الإحساس بالمسؤولية وان الحياة ليست فوضى وإنما هناك ما يجب فعله وهناك ما يجب الابتعاد عنه . هذا الأمر يؤدي إلى إعداد الطفل لمرحلة المراهقة وهي المرحلة التي يبدأ فيها بالتقرب إلى عالم الراشدين والشعور بالمسؤولية وتوسع أبواب

الحياة عليه ودخول عالم اكبر وأوسع ، لذلك كان يجب عليه أن يعلم أن الحياة ليست كلها ثواب وإنما هناك شيء من العقاب، إن نحن تمادينا في اللامبالاة وعدم الاكتراث.

النمو الجنسي في «النظرية المحمدية»...

أما الجزء الأخير من الحديث وهو « فرقوا بينهم في المضاجع » هنا يدخل عليه الصلاة والسلام في الحياة العقلية والمعرفية والجنسية للطفل فيأمر بتفريق الذكر عن الأنثى في هذا الجيل ولكي نتعمق في فهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، علينا التعرف على سيكولوجية النمو الجنسي في هذه المرحلة .

ان تطور النمو الجنسي في هذه الفترة من العمر والتي يطلق عليها اسم مرحلة ما قبل البلوغ الجنسي ٩-١٢ سنة ، وتعد تحولاً من حالة الكمون الجنسي إلى حالة النشاط الجنسي والذي يبدأ مع مرحلة البلوغ . وبما أن هذه المرحلة هي مرحلة انتقالية وتحولية ، فعلى الإباء أن يعدوا أطفالهم لاستقبال البلوغ وذلك ببعض المعلومات والتوجيهات . فعندما يصل الأطفال إلى سن العاشرة والحادية عشر نجد أن لديهم حب استطلاع شديد عن النواحي التشريحية الجنسية والفسيولوجية والحمل والولادة والأمراض التناسلية . أن من الملاحظ أن ميلهم إلى الأمور الجنسية في هذه المرحلة يزداد ، إذ أن ما يميز هذه الفترة هو الميل إلى الأمور الجنسية والتعرف عليها والعبث بها وهذا جعله الله تعالى ليكون تمهيداً لمرحلة البلوغ والتي يمكن أن تحدث فيها عملية الزواج . كما وان الانتباه في هذه المرحلة يزداد وتزداد دقته ، الأمر الذي يساعده على إدراك الاختلاف بين الأشياء وإدراك الشبه أيضاً

بينها. نتيجة لهذا فإنه يستطيع ان يقدم تفسيراً بسيطاً للأمور ،
وهذه صورة راقية من التفكير لم نكن نلاحظها في المراحل السابقة
من النمو .

يقول تعالى :
« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » (الأحزاب ، ٢١).

• • •

الذات في الإسلام من منظور سيكولوجي

إن « نظرية الذات » تعتبر مدرسة من مدارس السيكولوجية ، وتعود لصاحبها « كارل روجرز - ١٩٥١ » وهو سيكولوجي وضع نظريته في نشأة الأمراض النفسية وفي الشخصية ، وصاغ طريقة في العلاج النفسي تسمى بالعلاج المتمركز حول المريض وتعتبر هذه النظرية أساسا في اتجاه السيكولوجية الإنسانية .

لدى روجرز يعتبر مفهوم الذات هو المفهوم المركزي في نظريته الذي يتكون من الادراكات والقيم والأحكام . والتي بمجموعها تعتبر مصدرا للخبرة والسلوك . ونتيجة معرفة الفرد للخبرات ذات القيمة الموجبة وذات القيمة السالبة فإنه يدرك جوانب ذاته الموجبة وجوانبها السالبة . وهذا ما يسمى بتقدير الذات أو مفهوم الذات . (Piaget 1950).

وعندما تتعارض الخبرات التي يتعرض لها الفرد مع فكرته عن ذاته أو مع دافعه الى التقدير الموجب للذات فإنه يقع فريسة للصراع ، مما يسبب له القلق والتوتر . وقد يتحول القلق تدريجيا الى صورة من صور المرض النفسي .

أن مفهوم السلام مع الذات يتضمن التمتع بالصحة النفسية والعقلية أو التمتع بحالة من التكيف الجيد ، بمعنى وجود حالة من التوافق والوثام والانسجام بين الإنسان وذاته .

وفي مجتمعاتنا العربية المسلمة لا بد لمن يريد التمتع بالسلام مع الذات

أن تخلو نفسه من الخبث والكبرياء والفحش والضغائن والحقده والحسد والغيرة والانتقام ، فهذه مشاعر سلبية تبدد سلام الإنسان مع ذاته، وإذا فقد الإنسان سلامه مع ذاته سقط في صراعات نفسية ذاتية قد تمزقه من الناحية النفسية ، وقد تؤدي إلى الاضطرابات النفسية المختلفة والتي تصبح حياة الإنسان معها جحيم .

وهنا يعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أهمية السلام مع الذات والابتعاد عما يساهم في صراعنا مع أنفسنا فيقول :
« لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر » .

ويقول أيضا :

« أحب لأخيك المؤمن ما تحب لنفسك » .

يقول علماء الصحة النفسية انه لكي يكون الفرد متمتعاً بصحة نفسيه يجب أن تتوفر فيه الأمور التالية :

– انه يعمل من اجل خير الإنسانية، ولكنه يقبل في الوقت ذاته أكثر الناس كيفما هم ، وكذلك أكثر المواقف كما يجدها في واقعها ، وخاصة حين تكون أموراً بسيطة .

– إنه يشعر بنفسه طرفاً في جماعه، وهو يحصل على الرضا في الحياة من خلال إسهامه في خدمة الآخرين أكثر مما يحصل عليه من خلال مكاسب شخصية .

– إنه على وعي بعلاقته مع الوجود .

– أن يكون عنده مقدارا معقولا من الثقة بالنفس ، أي انه يعرف قدراته وحدوده ويستطيع بذلك مواجهة الحياة بنجاح .

– أن يكون في شخصيته تكامل وانسجام .

– انه يواجه المشاكل واقعياً .

– أن تكون له نظرة الى الأمام والى المستقبل .
ويقول « وولمان-١٩٧٣ » إنه من الأشياء الأساسية في الصحة النفسية للفرد هي العلاقة بين طاقات الشخص وانجازاته . والمقصود هو ما يحتمل أن يوجد من تفاوت بين ما يستطيع الفرد القيام به وما يقوم به وينجزه فعليا ، ولذا يكون بين أهم الإشارات على وجود اضطراب نفسي هو عدم تمكن الفرد من جعل طاقاته الجسدية والنفسية أمرا واقعا بحيث تعمل في كامل حدود ما تستطيعه . ويذكر «شنايدرز» تسع نقاط يعتبرها المعايير الأساسية للصحة النفسية من أهمها :

– المفهوم السليم حول الذات .

– وعي الذات المناسب .

– العلاقة المناسبة مع الدافع .

وفي دراسة للعالم « سكوت » يعرف فيها الصحة النفسية والمرضى النفسي يحدد عدة نقاط يجب أن تتوفر في الشخصية لكي تكون سليمة من الناحية النفسية ومن أهمها ذكر :

– الاستقلال الذاتي .

– الموقف المناسب مع الذات .

تلخيصا لذلك فان مفهوم الذات هو أساس الصحة النفسية للفرد ، لذلك على الإنسان أن يكون مفهوما ايجابيا عن ذاته كي يتمكن من التكيف مع المحيط . هذا ما توصل إليه الخبراء النفسيون بعد جهد كبير من الأبحاث والمراجعات والتجارب ، إن السلوك السوي أو السلوك المضطرب يتعلق بمدى فهم الفرد لذاته ، ومن توصل الى فهم ذاته فقد فاز برحمة الله ، حيث يجنبه الله تعالى الاضطرابات والمشاكل في السلوك والنفس .

من هذا المنطلق أشار محمد صلى الله عليه وسلم الى ذلك قبل زمن بعيد في حديث شريف حيث لخص لنا هذه الفكرة بقوله :
« رحم الله أمراً عرف قدر نفسه » .

هذا الحديث رغم قصره وقلة كلماته إلا انه يعطينا الكثير من العبر وهو يتضمن معنى عظيم ، فالرحمة التي يريها المسلم من الله عز وجل ويسعى إليها دائماً في عمله ودعائه يستطيع أن يحصل عليها إذا تمكن من معرفة قدره ونفسه وقدراته . إن الرحمة المرجوة هي الرحمة من كل سوء، من الشر ومن الحزن والكآبة ومن الفقر ومن القهر ومن الضر . فمن استطاع أن يعرف ذاته وقدراته وإمكاناته بصورة صحيحة وان يوازن بين هذه القدرات وبين ما يتطلع إليه فانه يصل الى رحمة الله تعالى من كل ضر جسدياً كان أم نفسياً .

النظرية المحمدية في التنشئة الاجتماعية

لقد تطرقت الكثير من الأبحاث السيكولوجية الى أهمية العلاقة بين الطفل والبيئة الخارجية ومدى تأثيرها على سلوكه . إذ أن هذه العلاقة تلعب دوراً كبيراً في تكوين وبناء شخصيته .

تشير الدراسات والتجارب السيكولوجية الى أن الطفل حينما يولد يكون كالورقة البيضاء لا يمتلك إلا الغرائز الأولية، التي تساعده على الحياة . ثم مع مرور الزمن يحدث عنده ما يسمى بالتنشئة الاجتماعية ، إذ عن طريق تفاعل الوليد مع البيئة يستطيع أن يعدل سلوكه ويكتسب مهارات حركية ومعرفية لم تكن موجودة لديه حين ولادته، وقد بحث الخبراء في علم السلوك هذا الموضوع ووجدوا أن الطفل يولد وليس في حوزته شيء من المعرفة سوى غرائز أولية

- ما ذكرنا - .

والوليد البشري في حالة يمكن وصفها بالجهل التام . ولكن سرعان ما يبدأ في اكتساب معلومات عن نفسه وقدراته وميوله وعن عالمه وطبيعته وقواعده، وليس هناك مفهوم لديه عن الصواب والخطأ وإنما عن طريق التنشئة الاجتماعية يتعلم ذلك . ويكتسب الطفل القيم والثقافة من خلال أعمال ينجزها بتفاعله مع البيئة المادية والاجتماعية، فيؤثر عليها ويتأثر بها .
ووفقاً للأبحاث يمكن تصنيف سلوك الطفل حديث الولادة الى ثلاث أشكال:

١- السلوك العشوائي:

وهو السلوك الذي يصدر عن الوليد، كالحركات الجسدية والعضلية بشكل عشوائي وتلقائي دون ربطه مع مثير محدد .

٢- الأفعال المنعكسة:

وهي عبارة عن تحرك عضلات الوليد بطريقة آلية وبلا إرادة، وهي الحركات التي ليس لها هدف، وتساعد الطفل على التكيف مع البيئة الخارجية .

٣- الاستجابات المتخصصة:

هذه الاستجابات تلاحظ عند الوليد في الأيام الأولى من حياته، وهي ما يصدر عن الطفل دون تعلم، وتساعد على الحفاظ على حياته .

كلما نما الطفل كلما اكتسب وتعلم من محيطه عن طريق التنشئة

الاجتماعية والتي يتحول الوليد البشري خلالها من طفل رضيع يعتمد اعتمادا كليا على المحيط، الى عضو في مجتمع يساهم في بناء الحياة الاجتماعية وتطورها، كما وتقوم التشئة الاجتماعية بإعداد الطفل للحياة في المجتمع .

إن الطفل يكتسب ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه، وهي لا تحدث بشكل تلقائي، وإنما تكون نتيجة حياة الطفل في وسط إنساني اجتماعي له ثقافته. وبدونها يبقى الطفل على مستوى اقرب الى مستوى الحيوان. ولكي نفهم ذلك نشير الى الأطفال الذين وجدوا في الغابات، والذين حرموا من الخبرات الإنسانية والثقافية، إذ أن هؤلاء بشر مثل كل البشر، لكنهم لم يمتروا مرحلة التشئة الاجتماعية في وسط إنساني، وبهذا نجد سلوكهم اقرب الى سلوك الحيوان، وقد أطلق على مثل هذه الحالات «بالإنسان المتوحش».

قد تبين أن هؤلاء الأطفال الذين عاشوا في الغابات جميعهم بكم، ويسيرون على أربع، وجميع حواسهم وسلوكهم تتماثل مع حواس وسلوك الحيوانات.

لقد أوردنا هذه الأمثلة كي نرى أهمية التشئة الاجتماعية للإنسان، وان الإنسان يولد دون معرفة، ومع مرور الزمن ونتيجة وجوده في وسط إنساني يستطيع أن يتعلم ويكتسب مهارات كثيرة تساعده على التكيف مع البيئة. في هذا الأمر يقول الإسلام ما قاله سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف:

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو

سوف نبحت وجهة نظر الإسلام في الأمور التالية :

محبة الطفل...

تعتبر علاقة الطفل بوالديه من أقوى العلاقات الحميمة في حياة الطفل . فالطفل منذ مولده لا يجد في مجاله الحياتي سوى الوالدين الذين يرعاهان ويربيانه ، ومن هنا فإن هذه العلاقة بين الطرفين لها تأثير كبير على حياة الطفل المستقبلية فهي التي تبني شخصيته وتنمي عقله ومعرفته وسلوكه وعلاقته مع المجتمع ، وهذا ما أثبتته الخبراء في السيكولوجية المعاصرة .

هنالك العديد من أنواع العلاقات الوالدية والتي تؤثر على النمو النفسي للطفل نذكر منها :

• التربية المتسلطة الساحقة

هذه التربية لا تقيم وزنا لآراء الولد وميوله وحاجاته ، وتمنعه من التعبير عن رغباته وأفكاره ولا تعطيه المجال للمبادرة الشخصية ، بل تفرض عليه إرادة الوالدين لا غير .

فالولد - كما يقول علماء النفس - كائن تابع يحققون من خلاله مشاريعهم الذاتية ، انه ليس طفلا صغيرا أو طفلة صغيرة ، وإنما هو كائن يجب برمجه ليصبح ما قرروا هم أن يكون .

يصف المحلل النفسي البريطاني جاك دومينيان انحراف هذا النمط

التربوي وبين ما ينتجه من عدم ثقة بالنفس ويقول : « . إن احد أخطار هذا النوع من التربية هو أنه لا يعترف بإستقلال الولد الذاتي ، فيؤدي إلى عدم الثقة بالنفس لديه . وهكذا يترعرع كثير من الناس في الخجل وعدم الثقة بالنفس وعدم القدرة على الإحساس بهويتهم الخاصة ، منقادين خلف الآخرين خدومون جدا ومطيعون ولكنهم يحيون داخليا في عالم من الفراغ وعدم التوافق مع أنفسهم . » (بندلي ، ١٩٨٧).

باختصار ، إن التربية السلطوية تعرض الطفل لأن يصبح في المستقبل راشدا خجولا تنقصه القدرة على تأكيد الذات ويخشى الانطلاق في الحياة ويهاب كل محاولة لإيجاد شيء جديد .

• الاستهزاء بالولد والاستخفاف بقدراته

إن الاستهزاء بالولد والاستخفاف بقدراته وإشعاره بان معظم انجازاته لا قيمة لها وأن لا خير يرجى منه «أنت عيل ما بتفهم شيء!!» من شأنه إما أن يثير التمرد أو يحطم الثقة بالنفس ويؤدي بالتالي إلى الخجل . هنا نريد أن نورد مثلا من حياتنا الواقعية كي نوضح الفكرة:
(أم معينة تملأ صحننا من الفاكهة ، تأتي ابنتها الصغيرة تسألها: أمي ، هل أستطيع أن أساعدك ؟ فتجيب الأم: إنك صغيرة رعناء جدا ، لا تستطيعين مساعدتي ، فتحاول الصغيرة مصرة على المساعدة ، فتجيبها الأم وقالت: حسنا !! إذا كنت قادرة فاحملي هذا الصحن !! فتقدم الطفلة بخطوات بطيئة و إذا بها تصطدم بزاوية الطاولة وتسقط على الأرض . فتصيح بها الأم: انك « بلهاء » وغبية إنك لا تستطيعين أن تفعلي شيئا بسيطا ؟!) .

هذا المثال البسيط يرينا بأن الأم منذ البداية أبدت عدم ثققتها في الطفلة ، وهو أمر يؤدي إلى إضعاف القدرة على التصرف بإحكام ، وهذا أدى إلى ارتكابها الخطأ باصطدامها في الطاولة ثم السقوط . فالأم أشعرت الطفلة من البداية بعدم قدرتها على المساعدة ، ولو أنها منححتها الثقة لكانت ساعدتها على السلوك بدقة اكبر ، مما يؤدي إلى دعم ثققتها بنفسها .

ويقول أحد الخبراء في الصحة النفسية: إن الوالدين أحيانا يغرقون أبناءهم في أخطائهم ، بدل من أن يوحوا إليهم بأنهم إنما هم أكبر من أخطائهم ويساعدونهم على الاستفادة من تلك الأخطاء . (بندلي ١٩٨٧) .

• الاحتضان المفرط

إن الاحتضان المفرط للطفل والغلو في القلق عليه يأسره ويكبله ويعطل لديه روح المبادرة والإقدام وينشئ عنده قلقا حيال الحياة ، يكون انعكاسا وامتدادا لقلق والديه عليه .
ولسان حاله يقول : طالما أن الكبار خائفون عليّ فأحرى لي أيضا أن أخاف ، ويؤدي هذا إلى إضعاف الثقة بالنفس وبالتالي يدفعه إلى الخجل .

• مدح الوالدين المفرط بالنسبة لولدهما

من أسباب الخجل عند الطفل ، طموح الوالدين المفرط بالنسبة إليه ، فقد يطلبان منه ان يصبح بارعا في كل أمر يقوم به إما لأنهما برعا في حياتهما الشخصية ولا يتصوران بأن يكون هو على غير شاكتهما ،

أو نتيجة إصابتهما بخيبة أمل أو فشل ، ويسعيان إلى التعويض . فيحاول الولد المسكين أن يتجاوب مع ما ينتظره الوالدان منه ، وذلك لأنه يريد أن يكسب عطفهما ورضاهما . ولكنه يشعر أن ذلك ليس بيده (أن يكون حسب ظن والديه) ، فيعتريه يأس وانخفاض في ثقته بنفسه وبإمكانياته نتيجة لذلك ، وهذا يؤدي به إلى الانتحاء جانبا والانطواء على نفسه ويتعد عن أي مبادرة خوفا من الفشل ، وسرعان ما يمتد هذا الموقف إلى سائر مجالات حياته وعلاقاته .

ولا ننسى طبعاً رغبة الأهل في التباهي بانهم أمام الناس ، فلا تفوتهم فرصة إلا واستغلوها لإبراز مواهبه ومعلوماته أمام معارفهم ، وذلك دون إقامة أي وزن لرغبة الولد الذاتية ودون أي اعتبار لتهيئه المشول أمام أناس لا يعرفهم ولا يألفهم . نتيجة لهذا الأمر قد ينشأ عند الولد نفور من المجتمع وخشية من مواجهته . (بندي ١٩٨٧) .

• الاهتمام المفرط لدى الأهل برأي الناس

نعرف كثيراً من الأهالي من يقول لأبنائه محذراً « دير بالك !! فماذا يقول الناس عنك لو تصرفت على هذا الشكل !! » . فالوالدان يتخذان الولد أداة لتحقيق رغبة عندهم وهي أن يمدحهم الناس ، ولكنهم لا ينتهون إلى أنهم بأسلوبهم هذا يضعفون قدرة ابنهم على المواجهة والاستقلال . من هذا المنطلق نجد ان الخجول يشعر باستمرار انه معرضاً لنظرة الغير .

• قلة صبر الأهل على الولد الناتج من إفراط نشاطهم

قد يكون الأهل مغالين في نشاطهم بحيث ينتظرون من الولد أن يكون على شاكلتهم، غير مكترئين بأنه كائن متميز وأن من حقه أن تكون له سماته الذاتية الخاصة .

لذلك تجدهم يطلبون منه أن ينجز كل شيء بسرعة، وقد يكون الولد عاجزا عن ذلك إما بسبب عدم اكتمال نموه أو بسبب مزاجه الخاص، فيصطدم آنذاك بنفاذ صبرهم الذي قد يدفعهم إلى أن يأخذوا على عاتقهم بعضية العمل الذي كان ولدهم مقدما عليه، وان يحولوا دون تنفيذه له بوسائله الخاصة . وهذا يؤدي إلى أن ينقاد الطفل إلى الفتور والخجل .

• **عدم الاهتمام الكافي من قبل الأهل بما يريد الولد أن يعبر لهم عنه**

إن عدم الاهتمام الكافي من قبل الأهل بما يريد الولد أن يعبر لهم عنه من أسئلة وأخبار وأفكار واقتراحات ومشاريع، وبما يرغب في أن يرويهم لهم من مشاهدات أو أخبار حصلت له أو فيلم شاهده أو قصة سمعها أو نكتة تعلمها، أو انجازاته من الرسومات والأشغال اليدوية... الخ، قد تؤدي إلى نشوء الخجل وإضعاف روح المبادرة لديه .

وهكذا نرى بأن العلاقة بين الوالدين والطفل مهمة جدا، فان كانت ايجابية كان لها بالطبع التأثير الإيجابي على كيان الطفل المستقبلي وشخصيته ونفسيته، أما إذا كانت العلاقة سيئة وسلبية - وهذا ما لا نرغب فيه - فقد يكون التأثير سلبيا وذا نتائج سلبية على شخصية الطفل ونفسيته .

إن الحاجة الى الحب والحنان هي من أهم الحاجات النفسية والانفعالية التي يحتاجها الأطفال. فالطفل يسعى الى أن يشعر أنه محبّ ومحبوب. هذا الشعور المتبادل بينه وبين أبويه وإخوته مهم جدا لصحته النفسية.

عادة يميل الأطفال الى أن يكونوا محبوبين ومرغوب فيهم، ويسعون لأن ينتموا لجماعة أو بيئة اجتماعية صديقة، فالحنان حاجة ماسة لهم والأطفال الذين لا يشبعون هذه الحاجة يعانون مما يسمى بالمصطلحات النفسية «الجوع العاطفي» وهذا الشيء له تأثير بالغ السوء على النمو النفسي لديهم، فقد يتحولون الى عدوانيين أو منحرفين سلوكيا.

إن محبة الوالدين لأبنائهما هي أمر هام جدا، وعلى الأهل أن يظهرها لأطفالهم هذا الحب دون تفرقة بينهم. إن الطفل يحرص على إرضاء من حوله بما يجلب له السرور ويكسبه جهم وتقديرهم وترحيبهم، ويحاول أن يكون موضع تقدير وقبول واعتراف، وتلعب عملية الحياة الاجتماعية دورا هاما في إشباع هذه الحاجة. من هنا وجب على الآباء مراعاة المساواة في التعامل مع أطفالهم.

يرى الإسلام أن هناك بعض النقاط التي تساعدنا في تعاملنا الصحيح مع أطفالنا، فقد قال محمد صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف:

روى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني نحت ابني هذا (أي أعطيته) غلاما كان لي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكل ولدك نحلته مثل

هذا؟»

فقال : لا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فأرجعه » .
وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفعلت هذا بولدك
كلهم ؟ » .
قال : لا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الله واعدلوا في
أولادكم » .

إن ظاهرة المفاضلة بين الأولاد لها تأثير سلبيّ ، فهي تولد الحسد
والكرهية ، وتسبب الخوف والخجل ، وتؤدي الى كثير من
المشاكل السلوكية . لتصرفات الآباء وسلوكهم اتجاه أطفالهم
تأثير على ردود أفعالهم فإذا كان سلوكهم سلبيا زاد ذلك من التوتر
النفسي لديهم ، أو قد يثير البلبلة لدى بعضهم وذلك يتضح عندما
يمسك الوالد طفله بين يديه ثم يعده عنه فجأة دون سابق إنذار
لأنه « مبال » أو « متسخ » أو عندما يصرخ أحد الوالدين في وجه
الطفل بسبب احداث ضجة أو فوضى ويلومه كثيرا على ما يفعل من
أخطاء .

كل هذا قد يشعر الطفل بالتردد في كل ما يفعل . وكما هو معروف ،
إن الطفل لا يستطيع أن يستوعب وجهة نظر الآخرين بصورة كاملة
إذ يتميز بالتفكير المتمركز حول الذات ، ولا يستطيع أن يفهم
وجهة نظر والديه بشكل كامل .

ونتيجة لهذا الأمر قد يحدث خلل في العلاقة بين الطرفين ، مما
يخلق جوا من التوتر والإحباط . إن للطفل عالمه الخاص به ونحن

بحاجة الى أن نعامله باللين والعطف والحنان ، لا بالصراخ والأوامر والنواهي . لأنه دون جدوى لا يستوعب بصورة كافية ما نرمي إليه ، بل قد تكون النتيجة عكسية ، ومن المؤكد أن الجو العام الذي يسود عملية الحياة الأسرية للطفل هو الذي يؤدي الى السلوك السوي أو اللاسوي .

ومن وجهة نظر الإسلام فقد حث على معاملة الأطفال بالمحبة والموودة لأنهم بحاجة الى ذلك وخاصة من أبيهم . وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : (قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهم ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي ، فقال الأقرع : - إن لي عشرة ما قبلت منهم أحدا قط .

فظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « من لا يرحم لا يرحم » .

وفي الصحيحين أيضا عن عائشة رضي الله عنها قالت :
جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
- إنكم تقبلون الصبيان ، وما نقبلهم !
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أو املك أن نزع الله الرحمة من قلبك !؟ »

هنا نرى أن الإسلام يحث على التعامل مع الأطفال باللين ويدعو الى الابتعاد عن التعنيف والقسوة والمعاملة الفجة في تعليمهم ، فالأسلوب المبني على الإذلال والعنف والمنع والكف وإصدار الأوامر والنواهي يعرض الطفل الى ألوان شتى من الصراعات المصحوبة بشعور غامض من القلق وعدم الثقة والخجل والشك ،

وهذه الأمور من المحتمل أن تستفحل تدريجيا الى أن تصبح خطرا يهدد الطفل وكيانه .

روى الحارث والطيالسي والبيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف» .

السيكولوجية الإسلامية في اللعب مع الطفل

يعرف اللعب في السيكولوجية على انه سلوك يقوم به الأطفال لا يقصد من ورائه هدفا أو غاية . واللعب يعتبر من أهم الوسائل لدى الطفل للتعرف على المحيط الإنساني . وهو من الوسائل الهامة التي يعبر فيها الطفل عن نفسه وعمما يختلج في أعماقه .

للعب أهمية عظمى في تقويم السلوك وتعديله وبناء الشخصية . وله عدة مراحل وفقا للخبراء في علم السلوك حيث تسير قدما بقدم مع مراحل العمر الزمنية .

• مرحلة الرضاعة حتى سن الثالثة يكون اللعب فرديا استجابة لحاجة الطفل فقط .

• ومن سن ٣-٤ سنوات يكون لعب الطفل موجه الى نفسه ، وفي بعض الأحيان مع الآخرين ولا يوجد أثر للمنافسة أو التعاون .

• بعد سن الرابعة يسمى ما يقوم به من لعب باللعب الإيهامي . ومع تقدم السن يكون الطفل أصدقاء اللعب ، حيث يعتبرون كمجتمع لعب عن طريقه يتعلم الطفل بعض العادات الاجتماعية كمراعاة الأدوار واحترام أفكار الآخرين .

في السيكولوجية هنالك العديد من النظريات التي تفسر عملية اللعب

لدى الأطفال نذكر منها :

نظرية الطاقة الزائدة :

حيث ينظر الى اللعب على انه تنفيس للطاقة الزائدة عند الفرد لا غير .

النظرية الغريزية :

إذ أن بعض الغرائز لا تظهر دفعة واحدة وإنما بالتدريج ، لذلك يكون التعبير عنها بواسطة اللعب ، والذي يتيح الفرصة لتهديب وتدريب ممارسة الأنشطة الغريزية الضرورية ، وقد قال جروس إن الغريزة بعيدة النظر تعمل حساب المستقبل فتعلم الطفل عن طريق اللعب أن يعد نفسه

نظرية تجديد النشاط باللعب :

إذ ينظر الى اللعب على انه وسيلة لتجديد النشاط حين يشعر الفرد بالتعب من العمل . كما وانه للعب أهمية نفسية كبيرة إذ يطلق الطاقة العصبية والتي إن لم تطلق تجعل الطفل في حالة توتر وتهيج . ويساعد اللعب كذلك على إشباع حاجات الطفل النفسية ، كحاجته الى التملك ، حيث يمتلك لعبة ويشعر بان هناك أجزاء من محيطه يستطيع أن يسيطر عليها . وترى الخبيرة النفسية ماري بولا سكي أنه من الأفضل أن نزود الطفل بأدوات كثيرة وغير محدودة ليلاعب بها حتى نمي لديه الابتكار والخيال ، الأمر الذي يساعد على نمو الذكاء لديه . ويعتبر اللعب كذلك سلوك استطلاعي واكتشافي لدى الأطفال .

يؤكد الباحثون والدراسات النفسية في الصحة النفسية للطفل على أن اللعب يعد من الوسائل التي تساعد على تطور الطفل ونموه السليم

وتكوين شخصيته .

لهذا من المهم أن لا يغفل الوالدين عن هذا الجانب لان الطفل بحاجة لان يعبر عن ذاته من خلال اللعب وان يطور مهاراته العقلية والاجتماعية .

إن القليل من الإباء ما يدقق في اختيار اللعبة لطفله ، رغم انه لكل بنية جسمية وقدرات عقلية ومهارات حركية ما يناسبها من اللعب . إن الطفل مبدئيا يرغب في اللعبة التي يمكن أن يصنع منها مواقف حياتيه : يهددها ، يكلمها ، يعاتبها . . . الخ ولذلك كلما أثارت اللعبة خيال الطفل زاد تفاعله معها وسعادته بها . ويؤكد الخبراء في علم السلوك ان اللعبة التي يصنعها الطفل بنفسه هي التي تنمي قدراته وتشبع رغباته ، فعلى سبيل المثال : المكعبات يمكن للطفل أن يصنع منها أشكالا هندسية ومباني وجسورا وبيوتا ، وكل ما يمكن أن يتصوره ذهنه ، وهي بذلك تكسبه الرضا والسعادة وترفع من ثقته بنفسه .

ويقول بعض الخبراء إن بناء الطفل لبرج من المكعبات هو تعليم لمبادئ الرياضيات ، كما أن حديثه مع اللعبة هو تعلم لمهارات اللغة . ومن الجدير بالذكر أن هناك اختلافا بين اختيار اللعبة للذكر أو للإنتى ، فالذكر غالبا ما يفضل اللعب التي ترمز إلى القوة كالمسدسات والدبابات والطائرات والقطارات ، أما الأنتى فتفضل الدمى والعرائس ، إلا أن هناك قاسما مشتركا بين الإناث والذكور هو أنهم يفضلون أن يتولوا قيادة اللعبة بأنفسهم بلا تدخل من الوالدين الذين عليهم أن يحترما هذه الرغبة وأن يكون تدخلهما بغرض المساعدة عند اللزوم ليس أكثر .

كما وتختلف اللعبة المناسبة باختلاف عمر الطفل ، فالرضع تناسبهم ألعاب الطيور، والأطواق الملونة، والحيوانات المصنوعة من القطن، واللعب التي تعوم في الماء، فهي تسهل مهمة الأم أثناء حمام الطفل، إما أطفال الثالثة أو الرابعة من العمر فتناسبهم لعب مثل الهاتف الذي يرن، ألعاب خيالية كالعرائس والدمى والمكعبات والألعاب التركيبية، التي تثير خيالهم يصممها الطفل بنفسه.

يقف كثير من علماء النفس ضد ألعاب المسدسات والمدافع والطائرات وغيرها من ألعاب الحرب ولكن الدراسات أثبتت أن الطفل ابن بيئته وان الواقع هو الذي يدفعه لمثل هذه الألعاب.

من الجدير بالذكر أن فوائد اللعب في حياة الطفل تتجلى في أن اللعب يشكل له طريقته الخاصة التي تمكنه وتساعد على اكتشاف العالم والناس الذين يحيطون به واكتشاف عدة أشياء في نفسه، ويعتبر اللعب وسيلة ناجعة جدا في تحقيق توازنه الجسمي والنفسي.

لقد كان دور الإسلام هام في هذه النقطة، إذ شجع على إعطاء الفرصة للطفل بان يلعب، والسماح له بان يمارس جميع نشاطات اللعب. فقد اهتم الإسلام بهذه المسألة لكونها مهمة في تنمية الطفل وتقويمه وتربيته، فنجد الكثير من أحاديث محمد صلى الله عليه وسلم والتي تحث على السماح للأطفال بممارسة اللعب دون الوقوف ضدهم.

عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف عبد الله وعبيد الله بنى العباس رضي الله عنهم ثم يقول : « من سبق إلي فله كذا وكذا»، قال : فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدرة فيقبلهم ويلتزمهم.

في هذا المشهد الرائع من مشاهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن اللعب مع الأطفال أمر له أهمية وليس أمراً عبثاً، إذ يكسبه المهارات اللازمة له ولحياته. ولم يعارض أبداً الإسلام الحنيف اللعب مع الصغار. لكون اللعب نشاط هام في حياة الطفولة.

وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فدعينا الى الطعام فإذا الحسين رضي الله عنه يلعب في الطريق مع الصبيان . فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم أمام القوم ثم بسط يده فجعل يفر هاهنا وهاهنا فيضاحكه الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه وأذنه ، ثم عانقه وقبله ثم قال :

« حسين مني وأنا منه !! أحب الله من أحبه ، والحسن والحسين سبطان من الأسباط.»

إن هذه المشاهد الجميلة في حياة الرسول الكريم ليست أمراً عبثاً لا معنى له بل تدل على الموقف الايجابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم تجاه مداعبة الأطفال وإعطائهم الفرصة ليمرحوا ويلعبوا ، كما وأنه على المسلم أن يادر في مداعبة الأطفال واللعب معهم ، والسماح لهم بمزاولة النشاط اللعبي الذي يعتبر علاقة اجتماعية ذات فائدة كبيرة في تقويم وبناء شخصيتهم .

• • •

على ماذا يبنى السلوك ؟

الدافع هو حالة داخلية، جسمية أو نفسية، تثير السلوك في ظروف معينة، وتواصله حتى ينتهي الى غاية معينة. وللدافع معان كثيرة في اللغة العربية منها: الحاجة، الحافز، الباعث، الميل، النزعة، الرغبة، العاطفة، الاتجاه، الغرض، القصد، النية، الإرادة. والدوافع هي عبارة عن حالات لا نلاحظها مباشرة بل نستنتجها من الاتجاه العام للسلوك الصادر عنها. ودوافع الإنسان لا عد لها ولا حصر، مثل: الجوع، العطش، الخوف، الغضب، الحب، الكره، الحاجة الى الأمن والحاجة الى التقدير الاجتماعي. ومنها أيضا الشعور بالنقص والشعور بالذنب والشعور بالقلق وما يحمله الفرد من عقد نفسية مختلفة.

ويشير علم السيكولوجية الى أن الدوافع تقسم الى قسمين :
أولا الدوافع الشعورية والتي يفتن الفرد الى وجودها، كرجبتك في السفر الى بلد معين .

ثانياً الدوافع اللاشعورية حيث لا يفتن الإنسان الى وجودها كالدافع الذي يحمل الإنسان على نسيان موعد هام .

يقول بعض العلماء : « إن الدافع عبارة عن قوة محرّكة موجهة إذ يشير السلوك الى هدف أو غاية معينة وتأتي أهمية الدوافع من أنها أساس التعلم واكتساب الخبرة، كما إنها الأساس في اتصال الفرد بالعالم المحيط به، بل إن شخصية الفرد في جزء منها على الأقل، تقوم على أساس تنظيم الدوافع، وعلى أساس الطريقة التي

تعلم الفرد أن يشبع بها دوافعه».

ولكي نفهم بوضوح معنى الدافع علينا أن نوضح العلاقة بين هذا المصطلح وبين معنى المصطلحات التي تستخدم لوصف حالات الدافعية، ومن هذه المصطلحات والتي ذكرناها مسبقاً، والتي تعتبر كمرادفة للفظ دافع، إلا أن علماء السلوك يميزون كل مصطلح ومصطلح، مع أنها في النهاية تأخذ المعنى العام والشامل للدافع.

– المثير، يمكن القول إن المثير هو المسبب إلى السلوك وذلك عن طريق المستقبلات الحسية.

– الحافز، وهو الدافع الفطري الذي يوجه سلوك الإنسان.

– الحاجة، وهي الشعور بالإحتياج والعوز.

– الميل، هو الدافع عندما يثار في المجال الاجتماعي، كالميل إلى الاجتماع للآخرين.

– النزعة، وهي الميل عندما يتضح في شعور الإنسان وإدراكه.

– الرغبة، وهي النزعة عندما تكون أكثر وضوحاً في سلوك الفرد وشعوره.

– العاطفة، وهي النزعة عند تقوى وتستقر بفعل الشحنة الانفعالية، كالعاطفة التي يكونها الطفل نحو أمه.

– المبعث، وهو المثير الخارجي.

– الهدف، وهي الغاية التي يتجه إليها السلوك الذي يثيره الدافع.

إجمالاً فإن الدافع هو المسؤول عن سلوك الإنسان ولا يمكننا القول إن هناك سلوكاً يصدر عبثاً، بل لا بد من وجود دافع وراءه. (كفافي

١٩٩٠)

لذلك كان موضوع الدوافع من أهم موضوعات علم السيكولوجية.

إذ يركز سلوك الإنسان ككل على الدوافع المخبئة وراءه .
لقد فسرت الشريعة الإسلامية نظرية الدوافع بقول رسول الله
محمد صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ
ما نوى » .

مميزات المسلم:

سنلقي الضوء على بعض الزوايا في شخصية الفرد المسلم . وما
هي الميزات التي يحث الإسلام عليها في شخصية المسلم حتى
يستطيع أن يتكيف مع البيئة والمحيط ، وكذلك الميزات الغير
مرغوب فيها والتي وان غلبت عليه ستؤدي الى عدم التكيف
وبالتالي الى الإحباط .

إن الشخصية الإنسانية مبنية من دفتين ايجابية وسلبية ولكي يصل
المسلم الى الشخصية السوية والصحة النفسية يجب أن ترجح لديه
الدفعة الايجابية .

الدفعة الايجابية من الميزان :

١- ضبط النفس

إن الإسلام وضع هذه الميزة للمسلمين وطالبهم بأن يتمسكوا بها
لأنها صورة سلوكية تساعد المؤمن على التكيف مع شروط الحياة .
فالإنسان المؤمن الحق هو صاحب النفس الأبية القوية التي تترفع
عن الدنيا وعن النقائص والصغائر وتترك الرذائل . ولقد ذكر القرآن
الكريم صورة من صور ضبط النفس إذ قال تعالي في كتابه الكريم :
« . . وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ »
آل عمران ، (١٣٤) .

ويقول سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن): « . . . والذين يجودون بالعفو والسماحة بعد الغيظ والكظم محسنون . . . والله "يحب" المحسنين . . . والحب هنا هو التعبير الودود الحاني المشرق المنير، الذي يتناسق مع ذلك الجو اللطيف المضيء الكريم . . . ومن حب الله للإحسان وللمحسنيين ، ينطلق حب الإحسان في قلوب أحبائه . وتنبثق الرغبة الدافعة في هذه القلوب . . . فليس هو مجرد التعبير الموحى ، ولكنها الحقيقة كذلك وراء التعبير . . . والجماعة التي يحبها الله ، وتحب الله . . . والتي تشيع فيها السماحة واليسر والطلاقة من الإحن والأضغان . . . هي جماعة متضامنة ، وجماعة متآخية ، وجماعة قوية . . . » (قطب ، ١٩٩٢) .

فالمسلم إذا استطاع أن يضبط نفسه ويتحكم بها ويسيطر عليها فهو من المحسنين . كما أن كظم الغيظ إذا صحبه العفو كان ذلك دليلاً على حسن النية ، فمقاومة الانفعالات النفسية ومطاردة الهواجس الشيطانية ذلك هو الإيمان بالله .

كما وأن هناك صوراً أخرى تبين أن الإسلام الحنيف يحث على ضبط النفس والسيطرة عليها ، فترى رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول:

« ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب . »

والعفو عند المقدرة هو صورة من صور ضبط النفس في الإسلام ، إذ يقول تعالى:

« . . . فَأَصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ » (الحجر ، آية ٨٥) .

والصفح الجميل هو بمعنى العفو دون عتاب . هذه صفة عظيمة .

الدفة الايجابية :

- ضبط النفس
- الاتحاد والتعاون
- الاستقلالية
- الاعتراف بالخطأ
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- الاجتهاد
- مراقبة النفس
- الأمانة
- العلم

الدفة السلبية :

- التشاؤم
- الكبرياء
- الفساد
- الكذب
- سوء الظن
- الغش
- السلبية
- الأنانية
- الإتكالية

لا بد أن تكون في الشخصية المسلمة. وهي تعينه على ترك الحقد وتدعو المسلم أن لا يشغل قلبه بالحقد والحقد. والعتو أقرب للتقوى مع الأقارب والجيران وتحمل الإساءة وضبط النفس حينها، يقول تعالى :

« وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » (فصلت ، آية ٣٤).

ونأتي بقصه كمثال على صورة من صور ضبط النفس عند المسلمين :

ذلك كان في عهد رسول صلى الله عليه وسلم حينما شتم أعرابي أبا بكر الصديق رضي الله عنه في حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام وأبو بكر ساكت، ولما لم يسكت الرجل أخذ أبو بكر يرد عليه، فقام الرسول من المجلس، فقال أبو بكر لرسول الله :
لم قمت حين أخذت أرد على الرجل ؟ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« يا أبا بكر لما سكت كان هناك ملك يدافع عنك فلما ابتدأت تصف نفسك ذهب الملك وجاء الشيطان، ولم أكن لأجلس في مجلس فيه الشيطان» .

وهكذا كان محمد عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابه الصبر والاحتمال وتمالك النفس حين الغضب .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم:
« وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ » (الشورى، آية ٤٣)
ومن الخير أن يكون المؤمن قويا أمام نزواته ونزعاته توابا أو ابا الى ربه الذي يعلم ما تكسب كل نفس وهو القائم على النفس البشرية بما كسبت وهو الذي خلق الإنسان فسواه وألهمه فجوره وتقواه .

٢-الإتحاد والتعاون

عن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه قال، قلت :

— يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟

قال :

— « الإيمان بالله والجهاد في سبيله» .

قلت :

– أي الرقاب أفضل ؟

قال :

– «أنفسها عند أهلها وأكثرها سمناً».

قلت :

– فان لم افعل ؟

قال :

– « تعين صانعا أو تصنع لا فرق ».

قلت :

– يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل ؟

قال :

– « تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك ».

في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام نجد مدى حثه على التعاون والإتحاد الذي يؤدي الى سعادة الفرد في الجماعة .

وفي القرآن الكريم نجد صور كثيرة تحث على التعاون بين المسلمين

كي يتمكنوا من الوصول الى حياة نشطة وفعالة ، إذ يقول تعالى :

« وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (آل عمران، آية ١٠٤).

من خلال هذه الآيات القرآنية نرى أن الله تعالى يطالب المؤمنين بأن يتعاونوا على البر والتقوى وأن يتحدوا فيما بينهم لأن الجماعة أفضل من الفرد والتعاون يساعد الفرد على الحياة، ومن طبيعة الإنسان السليم أن يشعر بطمأنينة وراحة نفسية في جماعة تعينه وتحترمه وتقدره وتشعره بذاته . فالإنسان الذي يعمل في جماعة ويتقن عمله سوف يشعر أنه مرغوب فيه وبالتالي يتمكن من تكوين فكرة ايجابية

عن نفسه وذاته فيكون سوي الشخصية، إذ أن السمة المركزية في الشخصية السوية كما عرفها الخبراء في علم السيكولوجية هي الفكرة الايجابية عن الذات .

ويقول سيد قطب :

«... والدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - من ثم - تكليف ليس بالهين ولا باليسير، إذا نظرنا الى طبيعته، والى اصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم، ومصالح بعضهم ومنافعهم، وغرور بعضهم وكبريائهم. وفيهم الجبار الغاشم. وفيهم الحاكم المتسلط. وفيهم الهابط الذي يكره الصعود. وفيهم المسترخي الذي يكره الاشتداد. وفيهم المنحل الذي يكره الحد. وفيهم الظالم الذي يكره العدل. وفيهم المنحرف الذي يكره الاستقامة.. وفيهم ممن ينكرون المعروف، ويعرفون المنكر. ولا تفلح الأمة، ولا تفلح البشرية، إلا أن يسود الخير، وإلا أن يكون المعروف معروفاً، والمنكر منكراً.. وهذا ما يقتضي سلطة للخير وللمعروف تأمر وتنهى.. وتطاع» (قطب، ١٩٩٢).

يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَّعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » (المائدة، آية ٢).

ويقول محمد عليه الصلاة والسلام:

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا

اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى». .
فقد سعى رسول الله عليه الصلاة والسلام في تأليف قلوب المسلمين
وتوحيدهم فكان ينزل الى مستوى الناس ولا يجعل فارقا بينه وبين
واحد منهم .

التعاون والاتحاد هما صفتين من صفات المسلم التي تساعده
على التكيف مع الشروط الاجتماعية وتوصله لحياة نفسه سليمة
وسويه .

يستخدم علماء النفس طريقة علاج نفسه متبعة في طرق العلاج النفسي
يطلق عليها اسم العلاج النفسي الجماعي والتي تساعد المريض على
الخروج من حالته عن طرق اختلاطه بالجماعة والتعاون معهم .

٣- الاستقلالية

ظل محمد عليه الصلاة والسلام حريصا على غرس الاستقلالية في
نفوس أصحابه . نرى ذلك في حديثه الشريف حينما قال :
« لا يكن أحدكم إمعة يقول : إن أحسن الناس : أحسنت » .
لهذا الحديث معنى عظيم يجب أن يفقهه كل ذي عقل . إذ له
دلالة سيكولوجية كبيرة في كونه يرفض السلوك التطفلي ويأبى أن
تقاد النفس البشرية دون فهم أو هدف . إن الإسلام يحث على
الاستقلالية في الرأي والتفكير واستنباط النتائج دون التعلق التام
برأي الآخرين .

في علم السيكولوجية الحديث يؤكد الباحثون على أن الاستقلالية
في التفكير والرأي هما سمتان ايجابيتان ومهمتان جدا في شخصية
الإنسان السوي . وعلى المرين أن ينموا هذه الصفات لدى الأطفال

٤- الاعتراف بالخطأ

هذه صفة من الصفات التي حث الإسلام عليها ، وطالب أن تكون من صفات الإنسان المسلم . إذ على الفرد أن يعترف بخطئه وذنبه وان يقلع عنه ويصحح مساره .

يقول محمد صلى الله عليه وسلم مشجعا على الاعتراف بالخطأ وتصحيحه مباشرة في حديث شريف :
« واتبع السيئة الحسنة تمحها » .

إن الذين يخطئون ولا يقرون بخطئهم أو يقرون بذلك ولكن لا يقلعون عنه ولا يصححونه ، يقول فيهم رسول الله عليه الصلاة والسلام : « كل أمتي معافي إلا المجاهرين » والمجاهرون هم المجرمون الذين يأتون المعاصي ثم يعترفون بها غير مبالين .

الإنسان المسلم الذي يعترف بخطئه وذنبه تم يقلع عنه ويصحح له مغفرة من الله ، إذ يقول الله تعالى في القرآن الكريم :
« قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (الزمر، آية ٥٣)
ويقول محمد صلى الله عليه وسلم مثبتا أن من يعترف بخطئه ويطلب الصفح يغفر له :

«التائب من الذنب كمن لا ذنب له» .

يحث الإسلام على الاعتراف بالخطأ ومحاولة تصحيحه والإقلاع عنه . ويقول جمع من الخبراء في علم النفس إن الفرد الذي يعترف بخطئه يتحاشى ألوانا شتى من القلق والتوتر النفسي ، لأنه بهذه

العملية يحاول الابتعاد عن الفشل والإحباط، إذ يصحح خطأه ويسلك طريقاً آخر فيه قد يشعر بالنجاح والثقة النفسية. أما ذلك الذي لا يعترف بخطئه ويستمر فيه فإنه سيتعرض دون أدنى شك إلى الفشل وبالتالي إلى الإحباط، الأمر الذي سوف يؤدي إلى تعقيدات ومشاكل نفسية عديدة كالقلق والتوتر وعدم الثقة بالنفس وبالآخرين وفي أحوال عديدة قد يصل الفرد إلى مستوى المرض النفسي نتيجة عدم اعترافه بأخطائه.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من السلوكيات التي يطالب بها الإسلام هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ يؤدي هذا إلى تماسك الجماعة والدفاع عنها وتصحيح مفاهيم الحق.

يقول تعالى في القرآن الكريم:

« كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » (آل عمران، آية ١١٠).

يشير سيد قطب إلى معنى هذه الآية الكريمة في قوله:

«... النهوض بتكاليف الأمة الخيرة، بكل ما وراء هذه التكاليف من متاعب، وبكل ما في طريقها من أشواك. . انه التعرض للشر والتحريض على الخير وصيانة المجتمع من عوامل الفساد. . وكل هذا متعب شاق، ولكنه كذلك ضروري لإقامة المجتمع الصالح وصيانته، ولتحقيق الصورة التي يحب الله أن تكون عليها الحياة.»
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:
- سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول:

– « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فليغيره بلسانه، فان لم يستطع فليغيره بقلبه وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم .
في هذا الحديث الكريم يحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويطلب المسلم بالمبادرة في ذلك . فالمبادرة صفة هامة في تركيب الشخصية الإسلامية إذ يقول احد الخبراء النفسيين إن الإنسان المبادر يتمتع بشخصية قوية ويمتلك ثقة كبيرة في نفسه . الشخصية المبادرة هي الشخصية الفاعلة في المجتمع وهي التي تساعد على ابتكار الكثير من الحاجات الحياتية فلولا المبادرة لتحولت المجتمعات الى مجتمعات خاملة ومتقاعدة .

٦- الاجتهاد .

إن الاجتهاد صفة من الصفات التي شجع عليها الإسلام وورغب فيها، وطالب المسلم اللبيب أن يعمل عقله وان يفكر مليا في حل الأمور الصعبة التي تحتاج الى الحكمة والحكمة .

ويروى عن القاضي شريح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال له عندما ولاه قاضيا على الكوفة : « اقصد بما استبان لك من قضاء رسول الله، فان لم تعلم كل أفضية رسول الله فاقض بما استبان لك من أئمة المجتهدين فإن لم تعلم فاجتهد برأيك واستشر أهل العلم والصلاح » .

هنا نرى أن الإسلام يطالب الفرد المسلم باستخدام عقله في جميع الأحوال وعليه أن يفكر ويستشير من هو أهل للاستشارة حتى يتوصل الى الحل السليم . يقول أحد الحكماء : « من استشار الناس فقد شاركهم في عقولهم » .

٧- مراقبة النفس

المقصود من مراقبة النفس هو أن يتعود المسلم على ملاحظة نفسه في كل وقت من الأوقات ، عليه أن يراقب نفسه وقت الكلام والعمل وكل حركاتها وسكناتها ، عليه أن يتابعها ويصححها ويراجعها حينما تخطئ أو حينما تهتم بالخطأ ، وعليه أيضا أن يسعى بأن تكون نشيطه فاعله قويه مجتهدة في الخير . ويجب أن يمنعها من السوء والرذيلة ويدفعها الى الطيب من القول والعمل .

يقول الله عز وجل في القرآن الكريم :
« وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا » (الاسراء الآية ٢٩) .

يقول سيد قطب رحمه الله :

« . . . والتوازن هو القاعدة الكبرى في النهج الإسلامي ، والغلو كالتفريط يخل بالتوازن . والتعبير هنا يجري على طريقة التصوير ، فيرسم البخل يداً مغلولة الى العنق ، ويرسم الإسراف يداً مبسوطة كل البسط لا تمسك شيئاً ، ويرسم نهاية البخل ونهاية الإسراف قعدة كقعدة الملوم المحسور ، والحسير معناها في اللغة: «الدابة تعجز عن السير فتقف ضعفاً وعجزاً» (سيد قطب ١٩٩٢) .

ويقول صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف :

« إعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت أمانة بالسوء ، ميالة الى الشر ، فرارة من الخير ، وأمرت بتزكيتها وتقويتها ، وعليك أن تقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ، وان تمنعها من شهواتها ، وان تفظمها عن لذاتها ، فإن أهملتها حجت

وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك ، وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعدل والملامة ، كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها ، ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة الى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضيه ، فلا تغفلن ساعة تذكيرها أو معاتبها ، ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغلن أولاً بوعظ نفسك . فقد أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام: (يا ابن مريم ، عظ نفسك ، فإن اتعظت فعظ الناس ، وإلا فاستح مني) .

ويقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: « من نصب نفسه إماماً للناس بدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره » .

ويقول علماء النفس إن الشخص الذي يراقب نفسه يتوصل الى فهم ذاته وهذه بدورها تعطيه القدرة على التكيف مع المحيط (احمد راجح ١٩٧٠) .

ومن الأمور الهامة في تعديل السلوك الإنساني - كما يذكرها خبراء علم النفس - هي مراقبة السلوك .

٨- الأمانة

يقول الله تعالى في القرآن الكريم مطالباً المسلمين بالأمانة :
« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا »
(النساء ، الآية ٥٨)

إن الأمانة صفة ايجابية في تكوين الشخصية الإنسانية ويحث عليها الإسلام ، فالأمين هو ذلك الإنسان المرغوب فيه في الجماعة هذا مما يشعره بمدى ايجابيته ويؤدي بالتالي الى تحقيق ذاته ، وتحقيق

الذات سمة من سمات الصحة النفسية . بالإضافة الى اكتساب الثقة بالنفس لأن الأمانة تعطي صاحبها صفة الصدق وثقة الناس .

٩- العمل

عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال :
« ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فياًكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقه» .

إن المسلم مطالب بالعمل والاجتهاد والمثابرة في الحياة وعدم الخمول والتوكل والجلوس دون عمل .

ولقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله : « إن الرجل ليعجبني فأسأل عن حرفته فيقال : لا عمل له فيسقط من عيني» .

والواقع أن الإسلام كره البطالة وانتقص من أصحابها وجعل شرار الناس أولئك القاعدين عن العمل ، الطاعمين من غير جهد ، الناعمين من غير كفاح ، المنشغلين في الثرثرة واللغو في الكلام كي يضيعوا وقتهم .

قال محمد صلى الله عليه وسلم :

« أشرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغدوا به يأكلون من الطعام ألوانا ويتشدقون في الكلام» .

كما أن الإسلام جعل أخيار ألامه وأعز أبنائها أولائك الذين يوفون رسالة الحياة ويؤدون ضريبة الصحة والعافية ويتجون في حياتهم ويحولون التراب خيراً وبركه . قال رسول الله عليه الصلاة والسلام :

« ما كسب رجل كسباً أطيب من عمل يده» .

وروي أن الرسول أمسك يداً ورمت من كثرة العمل وقال : « تلك يدا يحبها الله ورسوله » ، كما وقال : « من أمسى كالألم من عمل يده أمسى مغفوراً له » .

ويقول الله تعالى في كتابه العزيز :
« وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » (التوبة، الآية ١٠٥) .
يقول سيد قطب في كتابه «في ظلال القرآن» بصدده هذه الآية الكريمة: « . . . ذلك أن المنهج الإسلامي منهج عقيدة وعمل يصدق العقيدة . فمحك الصدق في توبتهم إذن هو العمل الظاهر ، يراه الله ورسوله والمؤمنون . . . إن الندم والتوبة ليسا نهاية المطاف . ولكنه العمل الذي يعقب الندم والتوبة . فيصدق أو يكذب تلك المشاعر النفسية ويعمقها أو يكتسحها بعد أن تكون ! » .

كما أن الشخصية الفاعلة ليست كالشخصية الخاملة ، فالعمل يساعد على التعاون والمشاركة في المجتمع ، الأمر الذي يساعد الفرد على تحقيق ذاته وشعوره بالنجاح والاستمرارية . يقول عالم النفس ماسلو: إن الإنسان ينزع دائماً إلى حاجة تحقيق الذات . وتحقيق الذات يكتسب من العمل المنتج .

١٠ - العلم

يقول الله تعالى في القرآن الكريم :
« يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » (المجادلة، الآية ١١) .
ويقول أيضاً :

« شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (آل عمران، الآية ١٨)

إن الصفة المهمة في شخصية المسلم والتي تساعده على الحياة والتقرب الى الله هي العلم إذ أن أول آية أنزلت في القرآن الكريم طلبت من الفرد المسلم أن يتعلم ويقرأ، لما في ذلك من فوائد له ولمجتمعه .

يقول الله تعالى :

« أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » (العلق ، الآيات ١-٥)

فالدعوة الى العلم والتعلم صاحبت الدعوة الإسلامية منذ اللحظة الأولى ، إذ يقول رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم :
« فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ».

ويقول كذلك :

« فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم »
ويقول أيضا عليه الصلاة والسلام :
« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ».

من هنا على المسلم أن يسعى الى العلم والتعلم حتى يتمكن من إنارة طريقه ومساعاه ، ويطلب الإسلام الفرد المسلم بنشر العلم وعدم كتمانها حتى يتمكن الآخرون من الاستفادة منه ، لقوله تعالى :
« إِنَّ الدِّينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ » . (البقرة، الآية ١٥٩)

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام :
« العلماء ورثة الأنبياء » .

كما ويبين عز وجل مدى أهمية العلم في الآية التالية :
« قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ » (الزمر، الآية ٩) .

إن العلم يؤدي الى فهم أفضل للحياة ويعطي الإمكانية للتكيف معها ومع متطلباتها وبالتالي يساعد هذا على الوصول الى ما يرجى من السلوك السوي .

هذا بالنسبة للدفة الايجابية من ميزان الشخصية أما الدفة السلبية فيمكن حصرها في النقاط التالية :

١- التشاؤم

من العادات الموروثة أن يتشاءم الناس من بعض الأمور ، فهذا يبعده عن الأعمال النافعة ، ويحول دون جلب النفع أو دفع الضرر دون مبرر ، وهو من السلوكيات السلبية إن وجدت في شخصية الإنسان .

من هنا كان لا بد للشريعة الإسلامية أن تضع حدا لهذا العامل النفسي الضار، فعقب قوله صلى الله عليه وسلم: « لا عدوى » بقوله: « ولا طيرة » أي ولا تطير، والتطير هو التشاؤم بأمر عينه .

وقد كانت العرب في القدم يطيطرون طائرا، إذا نوى شيئا، فإن طار يمينا تفاءلوا وتيامنوا ومضوا الى حاجتهم، وإن طار جهة اليسار قعدوا ولم يفعلوا شيئا. ومن هنا جاءت كلمة « التطير ». وقد وصف الرسول محمد صلى الله عليه وسلم المضي في المطلوب علاجا

للتشاؤم، فقال:

« إن في الإنسان ثلاثة، الطيرة والظن والحسد، فمخرجه من الطيرة أن لا يرفع، ومخرجه من الظن أن لا يحقق، ومخرجه من الحسد أن لا يبغي». أما التفاؤل فقد طالب به الإسلام لأنه يساعد الإنسان على العمل الجاد والإنتاج.

٢- الكبرياء

يقول الله تعالى في الحديث القدسي:

« الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني فيهما ألقيته في جهنم ولا أبالي».

فالكبرياء داء خطير، وإذا حل بشخصية أهلكتها وأوصلها الى ما لا ترغب فيه. وهي من آفات المجتمعات في كل زمان ومكان، ويؤدي الى الحقد والبغضاء بين الناس.

إن استعظام النفس واحتقار الغير من أشد الصفات الممقوتة، والتي تأبأها النفس الصحيحة وتفر منها، ويقول عز وجل:

« سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ » (الأعراف، الآية ١٤٦)

ويقول محمد صلى الله عليه وسلم:

« إن الله لا ينظر الى من يجر إزاره بطراً، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، قيل: يا رسول الله إن الرجل يحب أن

يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا، قال: « إن الله جميل يحب الجمال،
الكبر بظر الحق، وغمط الناس» رواه مسلم.

ويقول أيضا عليه الصلاة والسلام:

« لا يزال الرجل يتكبر ويذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصبيه
ما أصابهم» رواه مسلم.

٣- الفساد

يقول الله تعالى في منزل تحكيمة:

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ .
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ » (البقرة، الآيات ١١-١٢).

ولقد توعد الله عز وجل المفسدين بعذاب في الدنيا، وطرد من
رحمته، حيث قال:

« الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ
يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » (البقرة، الآية
٢٧)

وقد حذرت الشريعة الإسلامية كل فرد من الأمة الإسلامية من
الخوض في الفساد وإفساد ما أصلحه الغير.

وحت الدين على الابتعاد عن هذه الصفة السلبية، وشجعه على
الإصلاح والتعمير حيث قال الله تعالى:

« وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ
رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » (الأعراف، الآية ٥٦).

إن الشخصية المنتجة والمعطاءة للنفع والخير أفضل وخير من
الشخصية المفسدة، إذ أن الأولى تسير على درب النجاح والتقدم

والأخيرة تسير في طريق مظلّم يهوي بصاحبه الى التهلكة .

٤- الكذب

يقول الله تعالى في القرآن الكريم :
« إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْكَاذِبُونَ » (الإسراء، آية ١٠٥)
يقول محمد عليه الصلاة والسلام:

« إن الصدق يهدي الى البر وإن البر يهدي الى الجنة، وإن
الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي
الى الفجور، وإن الفجور يهدى الى النار، وإن الرجل ليكذب
حتى يكتب عند الله كذابا» رواه البخاري ومسلم .
الكذب آفة المجتمعات ودمارها . والكاذب شخص غير مرغوب
فيه بين الجماعة، وبالتالي يشعر بأنه شخص منبوذ غير مقبول، الأمر
الذي قد يؤدي الى نوع من الاضطرابات النفسية والتوترات العصبية
التي قد تتسبب في اللجوء الى العنف والعدوان .
وعن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال:
حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دع ما يريك الى ما
لا يريك فإن الصدق طمأنينة والكذب رية» .

٥- سوء الظن

يقول الله سبحانه وتعالى :
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا
تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ

مَيْتًا فَكَّرْهُمْوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ » (الحجرات ، الآية ١٢) .

إن سوء الظن من الصفات التي قد تتسبب في مشاكل كبيرة ليس للإنسان حاجة فيها، وخاصة في العائلة، وبين الأفراد في الجماعات، كما ويساعد سوء الظن على انتشار الإشاعة كانتشار النار في الحطب والهشيم. ومن المعروف أن الإشاعة قد تتسبب في تفكيك المجتمعات.

يقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم :
« إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث » .

٦- الغش

يقول محمد عليه الصلاة والسلام: « من غش فليس منا » .
يطالب الإسلام الفرد المسلم بأن يتعد عن هذه الصفة السلبية التي إذا ما تمكنت منه جعلته مكروها عند الناس ومذموما . والغش ليس فيه نفع بل فيه ضرر وفساد للمجتمع .
ولقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يبيع طعاما فأعجبه ، فأدخل يده فيه ، فرأى بللا ، فقال : « ما هذا يا صاحب الطعام ؟ »
قال : « أصابته السماء (أي المطر) » فقال عليه السلام : « فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غش فليس منا » رواه مسلم .

٧- السلبية

يطالب الإسلام كل فرد مسلم بالابتعاد عن اتجاهات اللامبالاة وعدم المسؤولية والخمول والكسل ، ويطالبه أيضا بأن يكون

إيجابيا وفاعلا في تعامله مع نفسه ومع مجتمعه .

يقول تعالى :

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ » (فصلت ، آية ٣٣)

إن الشخصية السوية هي تلك الفاعلة المبادرة التي تعمل على تغيير الأمور الى الأفضل . ووفقا للخبراء في علم النفس فإن السلبية سمة من سمات الشخصية المريضة .

يقول تعالى :

« وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » (التوبة ، آية ١٠٥)

يحث رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس على المبادرة وعدم السلبية :

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

٨- الأناية

يحث الإسلام على التعاون وعدم التفرد في المنفعة ، فالمسلم الحق عليه أن يعين أخاه وأن يحب له ما يحب لنفسه .

يقول تعالى في القرآن الكريم :

« وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » (الحشر ، آية ١٠)

يحث محمد صلى الله عليه وسلم في كثير من الاحاديث على ترك

الانانية، كقوله:
« أحب لأخيك ما تحب لنفسك ».

٩- الإتكالية

الإتكالية في الإسلام شيء غير مطلوب وغير مرغوب فيه، لقول محمد صلى الله عليه وسلم:
« لا يكن أحدكم إمعة فيقول: إن أحسن الناس أحسنت ». وطلب بالاستقلالية في الرأي، لأنها تعطي الإنسان حقه في الوجود.

١٠- الشك

على الفرد المسلم أن يتيقن قبل أن يقرر، لأن الشك وعدم اليقين من الشيء، قد يؤدي الى الندم.
في هذا السياق يقول الله تعالى:
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » (الحجرات، الآية ٦).
ويقول محمد عليه الصلاة والسلام: « دع ما يريبك الى ما لا يريبك »
والشخصية الشكاكة هي تلك الشخصية البارانونية كما يذكرها الطب النفسي.

بعد أن أوردنا الصفات التي يطلب الإسلام وجودها في الشخصية المسلمة وتلك التي ينهى عن وجودها، نستطيع أن نرى وتؤكد أن الشريعة الإسلامية حريصة كل الحرص على تكوين الشخصية السوية الصالحة المستقيمة لدى الفرد المسلم والتي فيها الخير

والمنفعة للمجتمع المسلم .
إن الصفات الايجابية لو اجتمعت لدى الإنسان لاستطاع أن يصل



الى الشخصية السوية البعيدة كل البعد عن الاضطرابات النفسية،
إذ عن طريقها يمكنه التوصل الى المفهوم العالي للذات وتمكنه من
إثبات وجوده وتحصيل مكانته في المجتمع، الأمر الذي يمكنه من
التكيف والاستمرار.

أما تلك السلبية، التي لو أنها سيطرت على إنسان واجتمعت فيه لأدت الى هلاكه ووصوله الى الكثير من الصراعات النفسية وعدم التكيف والإحباط.

لذا فعلى كل إنسان أن يعلم أن لديه دفتين من الميزان في الشخصية، الدفة الايجابية والدفة السلبية، ولكي يصل الى السلوك السوي والشخصية الصحية يجب أن ترجح لديه دفة الميزان الايجابية.

• • •

السلوك السوي في الإسلام

لقد وضع الإسلام مقياسا ومعيارا رائعا للسلوك البشري السوي ، والذي إن حاد عنه الإنسان يصل الى السلوك الغير سوي . وقد كتب عن ذلك وفي هذا المضممار الدكتور علاء الدين كفاقي أستاذ الصحة النفسية في جامعة القاهرة في كتابه «الصحة النفسية» (١٩٩٠) ، سنلخص فكرته هذه لأنها تحتاج الى الاطلاع عليها وتطويرها كي يكون المحك الإسلامي كباقي المحكات للسلوك السوي .

نطرح تساؤلا؛ ماذا نعني بالسلوك السوي ؟ السلوك السوي ، هو الصحة النفسية . كي تتوفر الصحة النفسية في الإنسان يجب أن تتوفر فيه الأمور التالية :

• **العلاقة الصحيحة مع الذات** ، وتمثل هذه العلاقة في فهم الذات وتقبلها وتطويرها .

وذلك بان يكون الإنسان على علم بنقاط ضعفه وقوته وأن يوازن بين ذاته والواقع ، فلا يبالغ في تقدير ذاته وصفاته ، ولا يقلل من شأنها ، ويجب أن يتقبل ذاته بايجابياتها وسلبياتها وألا يرفضها ويكرهها . وعليه أن يحاول تحسينها وتطويرها وذلك بتأكيد جوانب القوة فيها ، ومحاولة التغلب على النقص والتخلص من العيوب .

• **المرونة** ، وذلك حينما يواجه الفرد مشكلة ما فإنه يريد حلها ، أو يهدف الى ما يريد الوصول إليه ، فان حقق هذا الشيء ، انتهى الموقف وإن لم يفعل فإنه يجرب سلوكا آخر حتى يصل الى ما يريد .

وإذا تكرر الفشل فقد يعيد الفرد حساباته، ويعيد النظر في الموضوع ككل أو يتنازل عن الهدف من زاوية أخرى. هذا يعني المرونة، على العكس بما يسمى بالسلوك «الجامد».

• **الواقعية**، هذا يعني أن الفرد يجب عليه التعامل مع الحقائق والوقائع. وتحديد امكانياته الفعلية كي لا يصل الى نقطة الفشل والإحباط.

• **الشعور بالأمن**، أي أن يشعر الفرد بالأمن والطمأنينة. بعكس الخوف والقلق والصراع الزائد عن حده.

• **التوجيه الصحيح**، وذلك عندما يواجه الفرد مشكلة فانه يفكر فيها، ويحدد عناصرها، ويضع الحلول التي يتصورها. وهو في هذا يتوجه الى المشكلة كي يحلها، ويواجهها مواجهة صريحة، وإن فشل يعلن فشله. وعلى العكس يحدث في السلوك الغير سوي.

• **المتناسب**، وهذا يعني عدم المبالغة، وخاصة في المجال الانفعالي، أي تناسب الشعور مع المناسبات. والتعبير عنها بالقدر المناسب والإفادة من الخبرة، وذلك بان يصحح من سلوكه دائما بناء على الخبرات التي يمر بها.

هذه هي السمات التي يجب توفرها في الفرد حتى يصل الى السلوك السوي والصحة النفسية السليمة.

سنذكر أهم المحركات التي ذكرها العلماء للتمييز بين السلوك السوي والسلوك الغير سوي.

تقسم المحركات الى نوعين:

الأول يقوم على التجريد باستخلاص صفة أو سمة، يتسم بها

السلوك السوي وتميزه عن السلوك الغير سوي . والنوع الثاني يقوم على الأساس العملي الإجرائي وذلك بتحديد أساليب سلوكية تشير الى السواء وأخرى تشير الى اللاسواء .
ومن هذه المحكات نذكر :

• **المحك الذاتي**، ويعود هذا المحك الى آراء الفيلسوف اليوناني السفسطائي « بروتاجوراس » الذي قال إن الإنسان مقياس كل شيء . هذا المحك شائعاً بين الأفراد غير المتخصصين .
حيث يفهمه ويستخدمه الأفراد العاديون في تمييز السلوك السوي من السلوك غير السوي . ولذلك يعتبر هذا المحك ذاتياً لأنه يعتمد على السلوك العام للفرد .

• **المحك الإحصائي**، وذلك يعتمد على النسبة السائدة بين الناس . فان كان سلوكاً معيناً ينتشر بين الناس بنسبة إحصائية عالية فهو يعتبر سلوكاً سوياً . أي يعتمد على مدى شيوعه بين الناس .
- محك التوافق الشخصي ، وذلك يعني مدى انسجام الفرد مع البيئة .
فإن تعامل الشخص مع مشكلاته بكفاءة قيل إنه حسن التوافق ، لأنه استطاع أن يتلاءم مع مطالبه بنجاح . المطالب البيولوجية الداخلية ومطالب البيئة الاجتماعية الخارجية . فالتوافق بين هذه المطالب يعني السواء .

• **محك تكامل الشخصية**، وذلك يعني التوافق بين الفكر والمشاعر والعمل والتحرر من الصراعات الداخلية الشديدة وعدم استخدام الميكانيزمات الدفاعية الجامدة والانفتاح على الخبرات الجديدة وتقبلها .

• **المحك الاجتماعي**، ويعني مدى دعم أو إعاقه حاجات المجتمع

وأهدافه. ويعتمد هذا المحك على أن الأفراد لا يعملون فقط على أن يتوافقوا في البيئة التي يعيشون فيها بل عليهم أن يعملوا في سبيل بناء وتدعيم القيم والأهداف والأنشطة الخاصة بالجماعة.

• **محك نمو الفرد وصالح الجماعة**، ويعود هذا المحك الى «جيمس كولمان». إذ أن فكرة هذا المحك تقوم على أن السلوك السوي هو الذي يتفق مع نمو الفرد وصالح الجماعة في الوقت نفسه. والعكس هو السلوك غير السوي. بعد أن تعرفنا على ماهية السلوك السوي نسرده باختصار ما جاء في المحك الإسلامي للسلوك السوي:

إن المحك الإسلامي كما يورده لنا الدكتور كفاي (١٩٩٠) يقوم على فكرة التوازن أو الوسطية بين الأطراف أو الأقطاب. وذلك يعني الجمع بين ايجابيات الطرفين دون سلبياتها. فالتوازن هو الميزة الرئيسية في هذا المحك. لذلك أطلق عليه اسم «محك التوازن» وذلك لأنه يحقق التوازن بين جوانب النفس الإنسانية، ويقوم على التوفيق بين النزعات البشرية، كالخوف والأمل والحب والكره، والواقع والخيال، والجوانب الحسية والجوانب المعنوية، والسيطرة والخضوع...

كما ويقوم المحك الإسلامي على الموازنة بين الفرد والمجتمع من ناحية والكون بأسره من ناحية أخرى (علاء الدين كفاي ١٩٩٠).

من أجل فهم ما يقصد هنا سوف نأتي بمثال بسيط على ذلك العمل والموقف الإسلامي منه:

في الدين الإسلامي يعتبر المال لله ولا يأتي إلا عن طريق العمل

الشريف ودون استغلال الآخرين . وفي العمل على المسلم أن يراعي الله في عمله . وليست هناك قيود يضعها المجتمع غير مراعاة الله في العمل ، وعلى الفرد بعد أن يكسب المال أن يطهره بدفع الزكاة ، من هنا نقول إن الإسلام لا يقف في طريق الكسب الشخصي بل يتيح له الفرصة للنمو بلا حدود ، ولكن عليه التقيد بالعمل الشريف الذي يفيد ويفيد المجتمع . بذلك يوفر الإسلام إنتاجا عالٍ ويضمن حق المجتمع من ناحيتين ،

أولا :وضع حدود للفرد التي يجب عليه مراعاتها في عمله .
ثانيا: فريضة الزكاة كحق للمجتمع في مقابل انتفاعه من تعامله معه في جو آمن تصان فيه أمواله ويطمئن فيه على نفسه ، يضاف إليها الصدقات التي يتطوع بها الفرد بنفسه للمجتمع (كفافي ١٩٩٠) .
والتاريخ يشهد على أنه حين طُبق الإسلام كان بيت المال وافرًا مليئا بالأموال حتى أن المنادي كان ينادي على من له حاجة فلا يستجاب له وذلك لأنه مجتمع راعي حق الله فأغناه. من هذا المثل يتبين لنا مدى التوازن الدقيق بين الفرد والمجتمع. حيث استطاع الإسلام تحقيق حاجات الفرد وطموحاته ومصالحه ، وضمن في نفس الوقت مصالح المجتمع وحاجاته ومقتضيات نموه . وهنا يمكن إعتبار السلوك السوي في الإسلام هو سلوك وسط بين الجماعية والفردية . إذ أنه يلغي الحواجز بين الفرد والمجتمع فلا ينظر الفرد إلا على كونه فرد في جماعة ولا تنظر الجماعة إلا وإنها مكونة من أفراد. كما وأن القصاص وأحكامه في الإسلام تأمين لحياة الجماعة وحماية الفرد. كما وأن الشعائر الإسلامية قد تؤدي فردية أو جماعية . ولكنه فضل الجماعة على الفرد كما في فريضة الحج فهي جماعة

وصلاة الجمعة كذلك . إن الدين الإسلامي ينهى عن الإمعية والتي يرادفها في علم السيكولوجية مصطلح « المسائرة الآلية » ، حيث أن المسلم مطالب بمقاومة الجماعة عندما تخطئ أو تحرف ، وعليه أن لا يخاف إلا الله (علاء الدين كفاي ١٩٩٠) .

يقول تعالى :

« .. وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ .. » (الأحزاب ، الآية ٣٧) .

إذن فالسلوك السوي في الإسلام هو توازن بين الروحية والمادية ، حيث يدعو الى التمتع بالطيبات على أن يكون ذلك في حدود ما أحل الله ، وان لا يلهينا ذلك عن ذكره وحقه علينا .

يقول تعالى :

« وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَسْ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ » (القصص ، الآية ٧٧) .

يقول سيد قطب رحمه الله بصدده هذه الآية :

« .. وفي هذا يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم . المنهج الذي يعلق قلب واجد المال بالآخرة . ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة . بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفاً ، كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها » (قطب ، ١٩٩٢) .

ويقول محمد صلى الله عليه وسلم :

« إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » .

والسلوك السوي في الإسلام ، هو وسط بين العبادة والعمل ، إذ

يقول تعالى:

« فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (الجمعة، الآية ١٠).

والإسلام يأمر الفرد بالعمل، والعمل الصالح يكون دائما مقترنا بالإيمان لقول الله عز وجل:

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ». (البقرة، الآية ٢٧٧).

كما وأن الجمع بين التطوع والالتزام يعتبر في الإسلام سلوكا سويا. كالأركان الخمسة والتي تمثل التزام المسلم، إذ يلزم الإسلام المسلمين بأداء الأركان الخمسة، ولا يصح إسلامه بدونها. كالصلاة والصيام والزكاة والحج والشهادتين، والمسلم ملتزم بهذا (علاء الدين كفا في ١٩٩٠).

بالإضافة الى هذه الأعمال الإلزامية هناك الأعمال التطوعية كالنوافل والسنن والبر والخير حيث يثاب عليها المسلم.

ويتحدد السلوك السوي في الإسلام بالوازع الداخلي والوازع الخارجي، إذ يهتم الدين بالتربية وتهذيب الضمير عند المسلم وهو ما يعتبر الوازع الداخلي، ولأن الله تبارك وتعالى علم أن الإنسان قد تغلبه دوافعه فأقام الوازع الخارجي رقيقا عليه ورادعا له ليحميه من نفسه. وان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

كما وأن الجمع بين التواضع والعزة هو سلوك سوي في الإسلام، فالمسلم مطالب بأن يكون متواضعا لقوله تعالى:

«وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا» (الفرقان، الآية ٦٣) .
 كما ويدعوهم ليكونوا أهل عزة : إذ يقول محمد صلى الله عليه
 وسلم يوم قتال المشركين : «رحم الله امرئ أراه يوم نفسه
 قوة»

ويقول تعالى :
 «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رِحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ
 رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ
 أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ
 شَطَاؤُهُ فَازْرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرْعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ
 الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا
 عَظِيمًا» . (الفتح، الآية ٢٩) .

كما وأن التوازن بين الحرية والمسؤولية في الإسلام يعتبر السلوك
 السوي . إذ أن الإنسان المسلم حر، وليس لأحد من البشر عليه
 سلطان . وهو النظام الوحيد الذي لا يسلم فيه الإنسان قيادته لإنسان
 مثله . وقد بني دخول الفرد في الإسلام على الحرية، لقوله تعالى :
 «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ
 وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ
 عَلِيمٌ» (البقرة، الآية ٢٥٦) .

والفرد المسلم مسؤول أمام ضميره وأمام الناس وأمام أولي الأمر
 على ألا يضر احدا وعلى ألا يسرق ولا يقتل ولا يشرب الخمر ولا
 يزني . . .

وقد قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : «كلكم راع وكلكم
 مسؤول عن رعيته» .

والتوازن بين الثبات والتغير هو ميزة من ميزات السلوك السوي في الإسلام. فهناك أشياء في الإسلام ثابتة لا تتغير ولا تستقيم حياة المسلم بدونها، كأداة الشعائر والعبادات والفرائض والقيم الخلقية كالصدق والوفاء والأمانة والتي حث عليها الإسلام (علاء الدين كفا في ١٩٩٠).

وبالمقابل هناك أمور تعتبر من المتغيرات والتي تتعلق بأمر الناس في معاشهم وأحوالهم المتبدلة والمتغيرة.

يقول محمد صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف:
« انتم أعلم بشؤون دنياكم ».

كما وأن السلوك السوي في الإسلام توازن بين الايجابية والسلبية، فالإسلام طالب المسلم بأن يكون ايجابيا فاعلا في تعامله مع نفسه ومجتمعه وأمر بالتواضع والتواضع وعبادة المريض ونهى عن خصام أخيه المسلم لأكثر من ثلاثة أيام. ويطلب منه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وان يشهد بالحق.

لقول الله تعالى:

« وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (آل عمران، آية ١٠٤).

وأما بالنسبة للسلبية فالمقصود هنا ليس اتجاهات اللامبالاة أو عدم المسؤولية أو الخمول والكسل وإنما يقصد بالخصوع لله عز وجل. وهي تقابل في الطبيعة الإنسانية تلك الميول الماسوشية وهي ميول الخصوع واستخلاص اللذة من تحمل الألم والمشقة (علاء الدين كفا في ١٩٩٠).

والدين الإسلامي ينهى المسلم أن يعبر عن نزاعته الماسوشية لإنسان

مثله ويأمره بأن يوجهها الى خالقه، الذي يحيه ويميت .
السلوك السوي في الإسلام يجمع بين المثالية والواقعية. ويقول
دكتور كفاي « إن الإنسان في الإسلام مخلوق بشري وليس ملاك
أو شيطان وإن كان يستطيع أن يرتفع بنفسه الى مستوى الملائكة
وكما انه يستطيع أن يهبط الى مستويات اقرب الى مستويات
الشياطين» (مرسي ١٩٩٠).

والإنسان مخلوق من طين. فهناك إذن; جانب مادي ويتجسد
في الدوافع البيولوجية. وميل الإنسان الى إشباع هذه الدوافع
يمثل واقعا. ولكن الإنسان به شيء من الروح أي أن له جانبا روحيا
ويتمثل في الوظائف العقلية والنفسية. ودوافع تحقيق الذات والتزام
الإنسان بالمبادئ الخلقية العليا في سلوكه يعتبر أمرا مثاليا (علاء
الدين كفاي ١٩٩٠).

ويقول محمد صلى الله عليه وسلم: « أما والله إني لأخشاكم لله،
واتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء،
فمن رغب عن سنتي فليس مني».

كما وأن هناك قواعد في الدين الإسلامي تحكم السلوك، مبنية على
القرآن والسنة النبوية (علاء الدين كفاي ١٩٩٠)، نذكرها:

— « وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى .
ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى » (النجم، الآيات ٣٩-٤١).

— « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى » (فاطر، الآية ١٨)، « وَكُلَّ
إِنْسَانَ أَلْمَنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا »
(الإسراء، الآية ١٣).

— من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم

- يستطع فبقبله وذلك اضعف الإيمان» .
- « لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » (البقرة، الآية ٢٨٦) .
- « لا ضرر ولا ضرار » .
- « الدين يسر لا عسر » ، « إن الله يحب أن تؤتى رخصه ، كما يحب أن تؤتى عزائمه ، ومن لم يأخذ برخصنا فليس منا » .
- « الأصل في الأشياء الإباحة ، والأصل في الذمة البراءة » ،
- « البينة على من ادعى واليمين على من أنكر » .
- « الحرج مرفوع . » فالدين الإسلامي لا يشق على الناس .
- « الضرورات تبيح المحظورات » .
- « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى » .
- « يرتكب أخف الضررين » .
- « درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة » .
- هذا هو المحك الإسلامي للسلوك السوي عند البشر ، والذي شرحه الدكتور كفا في كتابه الصحة النفسية متمنيا من الله ان يتوسع علمنا في هذا الموضوع .

• • •

من مظاهر الصحة النفسية بصورة عامة أن يكون الإنسان سعيدا بعيدا عن الهمّ والحزن وأن يكون فاعلا ناشطا، وأن يكون على دراية بقدراته وذاته وقوته وضعفه. هذه الأمور بصورة عامة تجتمع في مفهوم الصحة النفسية. والشعور بالضيق والحزن الدائم من مميزات المرض النفسي كالاكتئاب على سبيل المثال. ولو نظرنا في القرآن الكريم لوجدنا أن الله عز وجل يستعرض صور عديدة من الضيق والحزن التي تشير الى نوع من الاكتئاب. ويربط القرآن الكريم هذا الشعور بدرجة التقرب الى الله عز وجل فكلمنا كان الإنسان أقرب الى الله كلما ابتعد عن الشعور بالضيق والحزن والعكس صحيح.

هذا يبدو جلياً في الآيات القرآنية التالية :

« فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحِ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلِ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ... » (الأنعام الآية ١٢٥).

«... وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ » (النحل، الآية ١٢٧).

«... لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ » (الأعراف، الآية ٤٩).

«... وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ... » (الحجر، ٤٧).

يشير القرآن الكريم الى صور عديدة من صور العلاج النفسي لمثل هذه الحالات - الحزن والهم والضيق - والتي تميز حالات كثيرة من حالات الاكتئاب، ويشفيها الله عز وجل بالأعمال التالية :

بالتقوى ، لقوله :
 « وَيَجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقُوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »
 (الزمر، ٦١).
 « ... فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » (الأعراف، الآية ٣٥).

بالإيمان بالله لقوله :
 « .. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »
 (المائدة، ٦٩).
 « وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » (آل عمران،
 الآية ١٣٩)

بالولاية لله ، لقوله :
 « أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » (يونس، الآية
 ٦٢).

بالإستقامة والعمل الصالح ، لقوله :
 « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ » (الأحقاف، الآية ١٣).

بالتسبيح ، السجود، العبادة، لقوله :
 « وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ أَنْ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
 وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ . وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » (الحجر،
 الآيات ٩٧-٩٩).

• • •

سيكولوجية الإرشاد النفسي وفقاً لنموذج الإرشاد الإسلامي

التصور الإسلامي لسلوك الإنسان :

ينظر الدين الإسلامي الى الإنسان من عدة زوايا تتمثل فيما يلي :
اولاً: إن مبدأ الأخذ والعطاء مبدأ هام تقوم عليه الإنسانية، وذلك من أجل تحقيق الأمن الاجتماعي، وإقامة علاقات اجتماعية سليمة، وتوفير حياة كريمة لأفراد المجتمع. ومن هذه المظاهر في المجتمع الإسلامي علاقة الطفل بوالديه وعلاقة الأغنياء بالفقراء والمحرومين (أبو عطية ١٩٨٩).

إن الهدف من العطاء هو تغيير السلوك عن طريق المساعدة الفعلية أو النصح والإرشاد، أو الدعاء للآخرين بالهداية.

ثانياً: إن السلوك الإنساني وفقاً لهذا النموذج محكوم بغريزتين هما الخير والشر وذلك كما خلقه الله عز وجل لقوله تعالى :
«وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا» (الشمس، الآية ٧-٨).

أساليب لتربية النفس على نزعة الخير

- تعليم القرآن والأحاديث .
 - القيام بالعبادات والشعائر الدينية .
 - الاقتداء بسلوك الصالحين .
 - استخدام الأساليب التربوية السليمة في تنشئة الطفل .
- ثالثاً : التوازن بين الروح والجسد. وذلك يعني التوازن بين الوظائف

- العقلية والنفسية وبين إشباع الحاجات الأساسية كالجوع والجنس والدفاع عن النفس من أجل البقاء. (زهران، ١٩٨٦).
- رابعاً: التواصل في العمل للحياة الدنيا والآخرة. أي أن العلاقة وطيدة بين العمل في الحياة الدنيا وبين العمل للآخرة.
- أسلوب الإرشاد الإسلامي :
١. الاعتراف بالذنب وظلم النفس والآخرين .
 ٢. التوبة وطلب المغفرة وعدم الرجوع للخطيئة .
 ٣. الاستبصار وذلك يجعل الفرد واعياً أسباب شقائه النفسي .
 ٤. التعلم ;أي اكتساب مهارات وقيم واتجاهات جديدة من اجل ضبط الذات وتقبلها وتقبل الآخرين وتحمل المسؤولية .
 ٥. الدعاء وانتظار الرحمة من الله ، الأمر الذي يؤدي الى التفاؤل والأمل والصبر(زهران ١٩٧٧)



المؤلف في سطور:

بديع عبد العزيز محمد القشاعلة . من مدينة رهط في النقب جنوبي فلسطين . من مواليد ١٩٧٥ . حاصل على درجة الدكتوراه في علم النفس من جامعة سانت بطرس بورغ .
• ٢٠٠٦ - شهادة الدكتوراه في علم النفس الطبي PhD من جامعة :

Saint Petersburg state university – Russia
Federation

رسالة الدكتوراه :

Family Education Influence on Forming of Self-Evaluation of Schoolchildren with Mental Development Disorder (Comparison Between Russian Families and Bedu area in Israel)

• ٢٠٠٠ - شهادة الماجستير بامتياز في علم النفس الكليني .
من جامعة :

Saint Petersburg State University – Russia
Federation

رسالة الماجستير :

Self-evaluation Research of Backward Children and Children with learning Disabilities

• ١٩٩٩ اجازة من وزارة الصحة الاسرائيلية للعمل كاختصاصي نفسي .

• ١٩٩٨ - شهادة البكالوريوس في علم النفس العام من
جامعة:

Saint Petersburg State University - Russia
Federation

بحث الانهاء :

Peculiarities of Mentally Backward Children's
Image

• ١٩٩٥ - شهادة انهاء اللغة الروسية بامتياز من جامعة:
Herzen State Pedagogical University of Russia.

• • •

القرآن الكريم

- أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (١٩٩٤)
رياض الصالحين . دار الفكر .
- اديب الخالدي (٢٠٠٣) . سيكولوجية الفروق الفردية والتفوق العقلي . عمان .
- احمد عزت راجح (١٩٧٠) . أصول علم النفس ، جامعة الإسكندرية .
- احمد محمد عساف (١٩٨٦) . الحلال والحرام في الإسلام .
- اسعد ميخائيل ابراهيم (١٩٧٧) . علم الاضطرابات السلوكية .
- بديع القشاعلة(٢٠٠٥) . جولة في علم النفس . رهط .
- جان بياحية (١٩٩٦) . الكلام والتفكير عند الطفل ، مترجم بالروسية .
- جودج . فرو (١٩٩٦) . ماهية علم النفس ، مترجم بالروسية .
- حامد عبد السلام زهران (١٩٧٧) . علم نفس النمو « الطفولة والمراهقة» .
- راضي الوقفي(١٩٨٩) . مقدمة في علم النفس . عمان .
- سمير احمد فهمي (١٩٧١) . علم النفس وثقافة الطفل .
- سيد سابق(١٩٩٧) . فقه السنة للشيخ .
- سيد قطب (١٩٩٢) . في ظلال القرآن . دار الشروق .
- سامي عريفج (١٩٨٤) . علم النفس التطوري .
- عبد الله ناصح علوان (١٩٩٥) . تربية الأولاد في الإسلام جامعة الملك عبد العزيز بجدة .
- عبد الرحمن عدس ، محي الدين تونق(١٩٩٧) . المدخل الي علم النفس . دار الفكر . عمان .
- عادل عز الدين الأشول(١٩٨٢) . علم النفس النمو .
- علاء الدين كفافي(١٩٩١) . الصحة النفسية .
- علاء الدين كفافي(١٩٩٩) . الإرشاد والعلاج النفسي الأسري . القاهرة .
- قشطه ، علا عبد الباقي إبراهيم(١٩٩١) . دراسة مدى فاعلية برنامج للتدريب على بعض المهارات المنزلية في تنمية مفهوم الذات لدى المتخلفين عقليا .

رسالة ماجستير في التربية . كلية التربية جامعة عين شمس .
كمال إبراهيم مرسي (١٩٩٦). مرجع في التخلف العقلي ، كلية التربية جامعة
الكويت ، دار النشر للجامعات المصرية ، دار القلم – الكويت .
كوستي بندلي (١٩٨٧). الصداقة والاسرة والخجل، سلسلة «تساؤلات
الشباب»، رقم ٦، منشورات النور، بيروت .
نعيم الرفاعي (١٩٩١). الصحة النفسية، دراسة في سيكولوجية التكيف ،
الطبعة السادسة. الصحة النفسية ، نشرة فصلية تعنى بأنشطة الجمعية النفسية
اليمنية .
نيريت لفيآ _ كوتسيك ، (٢٠٠٠). كتاب في الإرشاد للتعرف على الأطفال
في حالات الخطر . القدس .

المراجع الأجنبية:

Erikson, E.H (1950). childhood and society.N.Y.
Maslow,A.H(1970). Motivation & Personality. N.Y.
Piaget,J.(1963). Origins of intelligence in children.N.Y.
Piaget,J.(1950). the Psychology of intelligence.London.
Rogers, Carl. (1939). Clinical Treatment of the Problem
Child.
Rogers, Carl. (1942). Counseling and Psychotherapy:
Newer Concepts in Practice.
Rogers, Carl. (1951). Client-centered Therapy: Its
Current Practice, Implications and Theory. London:
Constable.
Schneider, K.(1959) Clinical Psychopathology. New
York: Grune and Stratton.
Wolman, Benjamin, Ed.(1973) Handbook Of General
Psychology. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.
Wolman, Benjamin.(1970) the families of
schizophrenics patients.



إن الفكرة الأساسية في هذا الكتاب تتبلور في مقارنة ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية من شرح لظواهر سلوكيه، مع ما جاءت به نظريات علم السيكولوجية الحديثة.

دائماً نلمح ونجد ان ما يحث عليه الدين الإسلامي من سلوك يحث عليه العلم والدراسات أيضاً. والشخصية الإسلامية هي شخصيه إيجابيه سويه بعيدة عن الانحرافات، وذلك بتمسكها بشعائر الإسلام وقوانينه ومطالبه، فلا يمنع الدين سلوكاً إلا وكان وراءه عاقبة وخيمة، وما حث على سلوك إلا وكانت نتائجه إيجابية. ومن يتبع تعاليم الإسلام يتجنب الاضطرابات والانحرافات ويشرح الله تعالى له صدره للخير وينزل عليه الطمأنينة.

المؤلف في سطور :

بديع عبد العزيز محمد القشاعلة . من مدينة رهط في النقب جنوبي فلسطين . من مواليد 1975. حاصل على درجة الدكتوراه في علم النفس من جامعة سانت بطرس بورغ .